قصص

الفتى النبيل



أحمد الوكيل

الفتى النبيل

طبقا لقوانين الملكية الفكرية

الفهرس

١ ـ دقات الخوف

٢ ـ هى

٣ ـ رومانسى

٤ ـ الأرضى

٥ ـ صورة الباشا

٦ ـ الحرباء

٧ ـ فندق الشبح

٨ ـ من الجانى ؟!

٩ ـ حمام زغلول

١٠ ـ الفتى النبيل

الفتى النبيل ـ قصص قصيرة

أحمد كمال الوكيل

دقات الخوف

دقات الخوف

" لا يعلم الغيب إلا الله (سبحانه وتعالى) .. "

وقفت شارد الذهن أتطلع إلى تلك الآلة الرهيبـة ، وهـذه العبارة تتردد بداخلى مرات ومرات بلا انقطاع .

وأنا أتساءل :

ـ ترى من ذلك المجنـون الـذى صـنع هـذه التحفـة المرعبة؟!

هى قلعة .. قلعة سوداء بحجم صندوق صغير (ماكـت)، لكنها متقنة الصنع إلى حد غير عادى ..

الهيكل الخارجى ، الأبراج ، النوافذ ، الباب ، الشرفة ..

كلها نماذج رائعة صنعتها يد فنان مجنون ، وفـى تلـك المساحة الواقعة بين أعلى الباب وأسفل الشرفة استقرت تلك الآلة الرهيبة ، التى أخشاها مثلما أخشى الموت نفسه ..

الساعة !!

قد يظننى البعض مخبولا ، ولكنها الحقيقة !

فالنسبة لشخص سيئ الحظ مثلى يمثل الـزمن الكـابوس الأعظـم لـه ، فلحظات سعادتى في هذه الدنيا قليلة .. بـل نادرة .

أما الجزء الأعظم من حياتى فهو مشـاكل ، مشـاكل لا تنتهى ، وكابوس لا استيقظ منه ، ولا أمل في الاستيقاظ منه، إلا بالموت ، ولكنى أخشاه .. وهذا طبيعى ما من كائن حـى لا يخشى الموت ..

وأتمناه ، ويالها من مفارقة ، أخشاه وأتمناه في آن واحد !

والساعة هى تلك الآلة اللعينة التى تذكرنى بـأن لحظـة السعادة ستمر ، وبعدها يأتى دهر من المشاكل والصراعات.

آه .. آه لو تتوقف تلك الساعة عـن العمـل ، ويتوقـف الزمن عند لحظة السعادة في كل الدنيا !

لا آلام ، لا مشاكل ، لا حروب ، ولا دموع .

لكن هذا لا يحدث إلا في الجنة ، ونحن في الدنيا ..

وشتااااان ما بين هذه وتلك .

وأمام هذه التحفة الفنية التى أشاهدها فـي واجهـة أحـد المحلات التجارية ، معروضة للبيـع ، لـم أتمالـك نفسـى وقررت شراءها ..

نعم أنا أكره الساعة إلى أقصى حد ، ولا أرتـدى سـاعة معصم ، وكأنما أخشى أن تلدغنى عقاربها !

ولكنى أعشق الفن وأقدره .. خاصة ذلك الفن المرعب .

واشتريت تلك التحفة الرهيبة التـى تمثـل قلعـة كئيبـة المنظر، إلى حد يفوق قلعة الكونت (دراكـولا) شخصـيا .. وتتوسطها ساعة دائرية هى بدورها جزء من لوحة الرعـب الذى تمثله القلعة ، فقد استبدلت بأرقامها الاثنا عشر نمـاذج دقيقة الصنع لجماجم بشرية ، على حين يمثل عقاربها الثلاثة سيف ورمح وبلطة مزدوجة الرأس .

عدت إلى منزلى وأنا أحمل معى ذلك الرعب المجسـم ، ووضعتها في الردهة ، في مكان متميـز ، ليراهـا جميـع أصدقائى عندما يزوروننى ، ورأيت عقرب الـدقائق الـذى يمثله السيف يقترب من الجمجمة التى تمثـل الـرقم (١٢) ، فتساءلت في نفسى :

ـ ترى ما ....

وقبل أن أكمل عبارتى ، جاءنى الجواب عند التقاء عقرب الدقائق بالجمجمة (١٢) ، فقد فتحت شرفة القلعة ، وخـرج منها تمثال صغير لشبح ملثم ، وقد امتزج خروجه بصـوت

ضحكة شيطانية ساخرة ترددت لخمس ثوان ، قبل أن يعـود الشبح إلى داخل القلعة ، وتغلق الشرفة مرة أخرى !

ظللت ثلاث دقائق كاملة أحدق في الشـرفة المغلقـة ذاهلا ، ثم ضحكت في عصبية ، محاولا إزالـة تـوترى ، قائلا:

ـ يا له من جنون !

ثم ذهبت لقراءة بعض الروايات ، وتناسيت الأمر برمته .

***

عجبا ! ما سر هذا الجفاف العجيب فـي حلقـى ، الـذى جعلنى استيقظ من نومى ، في هذه السـاعة المتـأخرة مـن الليل؟!

غادرت فراشى وحجرة نومى كلها ، وخرجت إلى ردهة المنزل لأتناول جرعة من الماء المثلج ، عله يروى ظمئى .

على الضوء الخافت المنبعـث مـن الثلاجـة أحسسـت أن شيئا ما يجرى خلفـى ، فاسـتدرت إلـى الخلـف فـي حدة ، ولكنى لم أجد سواها ..

القلعة .. قلعة الرعب ، وساعتها المخيفة وهى تدق :

تك .. تك .. تك .. تك .. تك ..

اقتربت منها أكثر وأنا أتأمل شرفتها و ...

وفجأة .. وعندما صرت على بعـد سـنتيمترات منهـا ، فتحت الشرفة وخرج منها ذلك الشبح الملثم ، و ...

واتسعت عيناى في ذهول وأنا أنظر إلى السـاعة التـى أشارت عقاربها إلى الثانية والنصـف وسـبع دقـائق بعـد منتصف الليل ...

فلم يكن هذا موعد خروج الشبح بأى حال من الأحوال !

ثم تحول ذهولى إلى رعب عندما انطلقت تلك الضـحكة الشيطانية الساخرة بصوت كهزيم الرعد ، ووجـدت نفسـى أتضاءل أو أن القلعة تتضخم ، لست أدرى !

المهم أننى في النهاية وجدت نفسى أمام قلعة حقيقية وليس مجرد (ماكت) .. ورأيت بابها يفتح في بطء ، وشيئا مجهولا يدفعنى للدخول .. أردت أن أعدو هاربـا ، وقـررت ذلـك بالفعل ، ولكننى وجدت نفسى أتجه إلى باب القلعة وكـأننى مسلوب الإرادة ، ثم إننى دفعت الباب ودخلت !

***

وهذا طبيعى ، ما من كائن حى لا يخشى الموت ..

ويا لها من مفارقة ، أخشاه وأتمناه في آن واحد !

أغلق الباب خلفى في عنف ، وهنا انتفضـت فـي هلـع وكأنما عادت إلى إرادتى ، فألتفت أحاول الخروج وأدق على الباب صارخا ، مستنجدا ، ولكن الباب لم يستجب وما مـن مجيب .

لكن دقاتى لم تكن الدقات الوحيدة التى تتردد في القلعـة ، بل كانت هناك دقات منتظمة تأتى من كل مكان في القلعة ..

تك .. تك .. تك .. تك .. تك ..

إنها الساعة ، نعم هى .. اللعنة التى تطاردنى أينما كنـت وحيثما أكون ، أخذت أتأمل ذلك البهو الفسيح ، الذى امتلأت جدرانه بخيوط العنكبوت ، ومجموعة من الفئران الصـغيرة تلهو على أرضيته الترابية .. ونظرت إلى الأبواب الثلاثـة المغلقة التى يحتل كل منها مساحة كبيرة في كل جدار مـن جدران البهو ، وكأنما كانت تنتظر حتى أنظر إليها لتفـتح ، فقد انفتحت الأبواب الثلاثة في وقت واحد ، وخرج من كـل منها عقرب هائل الحجم ، بحجم سيارة صغيرة ، ثم اتجهـوا نحوى ، وتراجعت في ذعـر فالتصـق ظهـرى بالبـاب ، وأدركت أنها نهايتى .

تك .. تك .. تك .. تك .. تك ..

مع كل دقة تقتـرب العقـارب أكثـر ، وتـزداد دقـات قلبى أكثر وأكثر .. وهنا وجدت يدى تقـبض علـى شـىء ما ، فنظرت لأجد بها رمحـا قويـا فضـى الـرأس .. لا أعلم كيف جاء ؟! ولا من أيـن ؟! لكنـى أدركـت أننـى أتقن استعماله ، وأبرع في ذلك ، برغم أننـى لـم أشـاهد مثلـه طـوال حيـاتى إلا فـي الأفـلام التاريخيـة ، ولا تسألونى كيف حدث ذلك ؟!

لقد وجدت نفسى أتفادى ، وأصد ، وأضرب ، وأطعـن ، وأكر ، وأفر .. ولم أنتبه إلى هذا إلا وأنا أقفز لأعلى وأطعن آخر العقارب طعنة قاتلة ، صارخا :

ـ توقفوا ، عليكم اللعنة !

ثم سقطت أرضا ألهث من التعب وأتطلع إلـى الأشـلاء الممزقة من حولى ـ للعقـارب الثلاثـة .. وإلـى رمحـى المغروس في ظهر إحداها ـ في ذهول ، ثم فجأة تلاشى كل هذا ولم يعد هناك سوى الأرض الترابية والعناكب والفئران ، حتى الرمح اختفى بدوره .

نهضت واقفا واتجهت بتلك الرغبة اللاإرادية إلى البـاب الذى في مواجهتى مباشرة ، ودفعته لأجد نفسى فـي قاعـة

دائرية واسعة ، لها نفس الأرضية الترابية ونفـس صـفات البهو .. وإن كانت أكثر وحشة وأكثر ظلمة .. لا أدرى من أين يأتى الضوء ولكننى أرى ، وكالعادة أغلق الباب خلفـى ووجدت نفسى سجين هذا القبر ..

ولم يكد يأتى ذكر القبور ، حتى وجدت يدا صلبة تجذبنى لأسفل ، لكنى تمالكت نفسى ونظرت إلى موضع قدمى لأجد يدا من العظام لا يكسوها لحم قد خرجت من الأرض وراحت تجذب قدمى لأغوص في باطن الأرض .. وبحركة دفاعيـة لا شعورية ضربتها بقدمى الأخرى وأفلت منها ، لكنهـا لـم تكن الوحيدة ..

لقد انشقت الأرض عـن عشـرات الأيـادى العظميـة التى أخذت تحاول جذبى إلى قبورها ، وأنـا أتفـادى هـذه وأدفع هذه وأقفز فوق تلـك حتـى أصـبحت فـي مركـز القاعة تماما .. عندئذ وجدت شيئا مـا يتـألق فـي يـدى ، فإذا به سيف لامع النصـل ، ذهبـى المقـبض .. وأفقـت من المفاجأة على إحدى الأيادى العظميـة تجـذبنى بقـوة ، فرفعت سـيفى وهويـت عليهـا بضـربة فصـلتها عـن معصمها .. أقصد عظام المعصم ..

ترددت في القاعة صرخة حادة ، قبل أن تنطلق الضحكة الشيطانية ، ويبرز من أرضية القاعة ، اثنـا عشـر هـيكلا عظميا ، يحمل كل منها سيفا حادا ، ويصنعون حولى دائرة، و ...

وبدأ الهجوم .

من النظرة الأولى أدركت أننى هالك لا محالة ، فـالفوز بحياتى يستلزم قتل اثنا عشر خصما ـ دعك من أنهم ميتون بالفعل !

وكدت أستسلم لمصيرى هذه المرة ، لولا أن عادت حالة اللاإرادة تسيطر على ، ووجدت نفسى أمسك السـيف بكلتـا قبضتى وأستخدمه كمقاتلى (النينجا) الخـرافيين ، وبسـرعة خرافية أيضا ، فأديره في الهواء كالمروحة إلى الأمام ، وإلى الخلف ، وإلى اليمـين ، وإلـى اليسـار ، وأقفـز متفاديـا الضربات، وأدور حول نفسى كالإعصار مطيحا بكـل مـن يقترب منى في دائرة قطرها ثلاثة أمتار .

وعندما توقفت ، وأدرت عينى فيمـا حـولى ، وجـدت القاعة قد تحولت إلى مخزن للعظـام البشـرية ، وفجـأة ،

نهض أحد الهياكل الذى لم أحطمه تمامـا ، وانقـض علـى شاهرا سيفه مطلقا تلك الصرخة الحادة !

وشهرت سيفى استعدادا لملاقاته ، لكنى لم أجد السيف في قبضتى .. لقد اختفى .. هكذا كما ظهر .

لكنى استقبلت الهيكل بذراعى متفاديا ضربته ، وحملتـه كالريشة وألقيته بقوة ليصطدم بباب القاعة ويسـقط محطمـا أسفله ..

وفتح الباب !!

لم أدهش كثيرا ، واندفعت أغادر القاعـة متخـيلا أننـى سأغادر القلعة كلها ، ولكن هيهات .. لقد وجدت نفسى فـي قاعة أكثر اتسـاعا تمتلـئ بـالتروس المختلفـة الأشـكال والأحجام..

ومن بين هذه التروس خرج هو ...

(شبح الشرفة) !

***

كنت أتوقع هذا .. نعم ، لم تكن هناك مفاجآت هذه المرة!

منذ أن دخلت القلعة ، وأنا أعلم أننى سأقابله .. وحينمـا نظرت إلى يدى كنت أعلم ما الذى سـأجده بهـا .. البلطـة مزدوجة الرأس ، تماما مثل التى في يده هو ..

ورأيته يقترب منى ليطيح برقبتى ، ولم انتظر ..

رفعت البلطة واندفعت نحوه صارخا في حماس :

ـ إلى الجحيم أيها اللعين !

وهويت بها على رأسه .. ولكننى وجدت نفسى أتجـاوزه لأرتطم بالجدار ، وأسقط أرضا ، وقد أدركت تلك الحقيقـة المرعبة ..

إنه ليس له كيان مادى ، إنه شبح حقيقى !

التفت الشبح إلى ورفع بلطته وهوى بها على رأسى ..

وبحركة غريزية رفعت بلطتـى لأصـد بهـا بلطتـه .. ونجحت .. واستمر القتال اليائس وأنا أصـد ، واصـــد ، وأصـد ..

ولا أضرب .. لا فائدة ترجى من ضرب الهواء ، و ..

واختفت البلطة التى بين يدى ، وانطلقت تلـك الضـحكة الشيطانية الرعدية تدوى في كل أنحاء القلعة ، مـع صـوت ساخر شامت يهتف :

ـ انتهى الوقت أيها الغبى .

وهوت البلطة على رأسى ، و ...

واستيقظت :

تك .. تك .. تك .. تك ..

غارقا في العرق ، غادرت فراشى مسرعا ، وخرجت إلى ردهة منزلى لألقى نظرة على ساعة الرعب هذه .. لكنى لم أجدها ، لم أجد سوى ساعة الحائط العادية التى تزين ردهـة منزلى ..

عدت إلى فراشـى ، وأنـا أتسـاءل عـن سـر هـذا الكابوس السخيف ، لكنى لم أكـد أرى الكتـاب والروايـة الملقيين على فراشى بإهمـال ، واللـذين كنـت أقرءوهمـا قبل أن أخلد إلى النوم حتى فهمت كل شىء ..

كانت الرواية بعنوان (قلعة الشبح) ..

والكتاب بعنوان .. (كل شىء عن الساعة) !

ومن يومها وأنا أطلق ضحكة ساخرة عالية .. كلما التقى عقرب الدقائق بالرقم (١٢) ، واستمتع بتلك الدقات الجميلة..

(دقات الخوف) !

***

هی

هى

كنت في ذلك الصباح مستقلا قطار (مترو الأنفاق) ، فـي طريقى إلى كليتى ، وقد أسندت رأسى إلى زجـاج إحـدى نوافذه ، وأنا أستعرض في خيالى أحداث رواية رومانسـية رائعة ، قرأتها بالأمس ..

عندما دوى في أذنى صوت ضحكات عالية لمجموعة من الفتيات ، قد جلسن بالمقعدين الخلفيين لى مباشرة .. وأطلقت زفرة حارة ، وأنا أقول لنفسى حانقا :

ـ اللعنة .. ها قد انتُزعت من دنيا الخيـال الورديـة .. لتتحطم أحلامى على صخرة الواقع السوداء !

ثم لم ألبث أن حاولت صم أذنى عن أصواتهن ، وعـدت محاولا التحليق مرة أخرى في سماء الخيال ، إلا أننـى لـم أستطع منع نفسى من المقارنة ، بين هذه النوعية من الفتيات، وتلك الصورة التى رسمتها في خيالى لفتاة أحلامى ..

وأتت نتيجة المقارنة سلبية للغاية ..

فهن يختلفن تمام الاختلاف عنها ، ولا يوجد أدنى وجـه للمقارنة بينها وبينهن .. كما لا يوجد أدنى وجه للمقارنة بين السماء والأرض !

وأفقت من شرودى ، على صدمة خفيفة لرأسـى ، فـي زجاج النافذة ، عندما توقف القطار ، في إحدى محطاته ..

فتنهدت في ضيق ، وقـد أدركـت أنـه لا فائـدة مـن المحاولة.. ثم رفعت عينى أتأمل ذلك الحى ، الذى توقف فيه القطار..

ورأيتها !

" هى ! أكاد أقسم أنها هى ! "

كذا هتفت لنفسى ، وأنا أتأمـل تلـك الفتـاة السـاهمة ، الشاردة، التى تطل من إحدى النوافـذ ، بالطـابق الثـانى ، لمنزل متهالك الجدران ، وقد وضعت خدها الأيسر ، علـى راحتها اليسرى ، واستندت بمرفقها إلى إفريز النافذة .. وقد أطلت من عيناها نظرة حالمة ، لم أر لها مثيلا قـط ، فـي حياتى كلها ..

لم تكن فاتنة ، كما قد يتبادر إلى الذهن ..

بل كانت ذات جمال هادئ ، من النوع الذى يطمـئن لـه القـلب ، وتستكـين لـه النفـس ـ وقد أدركت ذلك برغم المسافة التى تفصلنى عنها ـ فهى على حد التعبير (ملائكية الملامح) .. ينساب شعرها الأسود الفاحم على كتفيها ، كليل بلا نجوم ..

ورأيتها تدير وجهها نحوى ..

ثم تبتسم !

لم أصدق عينى ، وأخذت أفـتش عمـ ـن توجـه لـ ـه ابتسامتها .. ولكن قلبى أنبأنى أنها موجهة لى .. فعدت ألتفت إليها ، مشيرا لها أن .... " أنا ؟! "

فاعتلت وجهها حمرة الخجل ، وأسرعت تطرق برأسـها أرضا ..

وهنا ابتسمت لها في سعادة بالغـة .. فلـم تكـد تلمـح ابتسامتى ، حتى أسرعت تغادر النافذة في حياء وقـد ازداد احمرار وجهها ..

وانطلق القطار مرة أخرى ..

لكنه ما كاد يتوقف في المحطة التالية ، حتـى أسـرعتُ أغادره ، وانتقل إلى الرصيف المقابـل ، لأسـتقل القطـار

العائد، وقد انتابتنى حالة من (هستريا الهوى) لو صح التعبير .. وأخذ قلبى يهتف :

- نعم .. إنها هى .. (فتاة أحلامى) ، التى طالما تمنيتها في يقظتى ومنامى .. ما من شك في هـذا .. ولـن أضـيع لحظة واحدة حتى أراها ، وأتعرف عليها .. وارتـبط بهـا أيضا .. حتى وإن كانت من حور الجنة ، أو مـن جنيـات الأرض !!

وهبطت في المحطة المرجوة ، وغادرتها مسـرعا إلـى الجانب الأخر من الشارع .. و ......

وتوقفت منبهتا .. مصعوقا .. هاتفا في ذهول :

- يا إلهى ! كيف حدث ذلك ؟!!

وكان لذهولى مبررا قويا .. بل غاية في القوة ..

لقد كان منزلها أطلالا مهدمة .. مجموعـة مـن أكـوام الطوب الأحمر .. وأنصاف الجدران المحطمة ، التى تخلـو من أى أثر للحياة على الإطلاق !!

وكمن تطارده الأسود أسرعت أعدو إلى (كشك) خشـبى صغير مقام على مقربة من الأطلال ..

وسألت صاحبه في فزع :

ـ متى تهدم هذا المنزل ؟!!

نظر إلى الرجل ، كمن يشاهد معتوها هاربا من مصـحة نفسية .. وأجابنى بوجل :

ـ لا أعلم ! إنه هكذا منذ أقمت (كشكى) هنا ، من ثلاث سنوات تقريبا !

وعظم ذهولى ، وقد تبينت الحقيقة المفزعة !!

إنها لم تكن هذا ولا ذاك !!

لقد كانت شبحا !!

(فتاة أحلامى) التى تمنيتها فـي يقظتـى ومنـامى ، لـم تكن سوى شبحا !!

وعدت حزينا .. كسير الفـؤاد .. إلـى الأطـلال مـرة أخرى..

وأخذت أنقب فيها ..

عن ماذا ؟! لا أدرى !!

حتى عثرت على كراسة مذكرات ، متهرئـة الأوراق .. قلـّبت صفحاتها في لهفة .. ووجدت فيها صورتها .. نفـس الملامح الهادئة .. ونفـس الابتسـامة الرقيقـة ، والنظـرة الحالمة..

وخيل إلى أن ابتسامتها تتسع أكثر وأكثر .. وهى تقـول لى :

ـ لا تحزن يا حبيبى .. أنا معك .

وابتسمتُ ..

ومن يومها .. وكلما اشتقت إلى (فتـاة أحلامـى) .. أو رأيت واحـدة مـن أولئـك الفتيـات ، اللائـى تزعجنـى ضحكاتهن..

أخرج حافظة نقودى ، وأخرج منها صورتها ، وأتأمل في هيام ابتسامتها الرقيقة ونظرتها الحالمة ..

وعندما يسألنى أحد أصدقائى .. " من هى ؟! "

أقول له ، وقد أشرق وجهى بابتسامة حانية :

ـ هى ؟!

هى .. (هى) !

***

رومانسی

رومانسى

ـ ما هذا يا أستاذ (أحمد) ؟!

قالها الأستاذ (أمجد رمزى) صاحب ومدير دار (الأدباء) للنشر والتوزيع ، موجها سؤاله إلى الأستاذ (أحمد سـرحان) الكاتب الرومانسى الشاب .. وهو يقدم إليـه ملفـا متوسـط الحجم .. كتبت على غلافه الخارجى بحروف كبيرة عبارة :

السفاح الأخير
قصة بوليسية

قرأ (أحمد) العبارة بحيرة .. قبل أن يجيب :

ـ إنها أولى رواياتى البوليسية ، التى كتبتها بنـاءً علـى رغبة سيادتكم !

هتف (أمجد) في ثورة مفاجئة :

ـ بوليسية ! أين البوليسـية هنـا يـا رجـل ؟! إنهـا تصلح لأن تكون إحدى رواياتك الرومانسية الحالمة !!

قال (أحمد) في ارتباك :

- كيف ؟! إنها رواية تتحدث عن سفاح شرير ، يقتل كل من يعترض طريقه بلا رحمة ، ويطارده طوال الوقت ضابط شرطة فذ ، حتى يوقع به في النهاية !

واصل الأستاذ (أمجد) هتافه الغاضب :

- نعم .. ولكنها تخلو من العبارات التقليدية التى تزخـر بها عادة هذه النوعية من الروايات .. مثل عبارة :

" اذهب إلى الجحيم " .. " تبا لك أيها الوغد " .. " عليـك اللعنة " .. إلى آخره ! كما أنها تمتلئ بالأخطاء ، من العنوان .. وحتى كلمة (النهاية) .. ما معنى عنوان (السفاح الأخير) في رأيك ؟!

أجابه (أحمد) بحرج :

- لقد أردت بهذا العنوان التعبير عن أمنيتى في الحياة .. بأن يسود الخير ، وينتهى الشر من الدنيا فلا يعود بهـا أى سفاح على الإطلاق .

تمتم الأستاذ (أمجد) من بين أسنانه :

- الرحمة ! يا أستاذ (أحمد) .. أنت تـدرك جيـدا .. أن ذلك قمة المستحيل .. فالشر باق ما بقـت الـدنيا .. ألـيس كذلك؟!

تنحنح (أحمد) متمتما بحرج أشد :

- إنها .. إحم .. مجرد أمنية .

بذل الأستاذ (أمجد) مجهـودا خرافيـا للسـيطرة علـى أعصابه، وهو يقول :

- أمنية ! هممم .. حسنا ، هذه وكانت أمنية .. والـذى كتبته في الفصل الرابع .. ماذا تسميه ؟!

(أحمد) بتساؤل :

- عفوا يا (أمجد) بك .. ولكن أى شىء تقصد ؟!

عاد (أمجد) يتناول منه الملف .. و أخذ يقلب صـفحاته ، حتى توقف عند صفحة ما و شرع يقرأ :

- " تسلل السفاح إلى غرفة السيدة (هدى) بحـذر ، ثـم انحنى أمامها قائلا بحزن ، وبلهجة مهذبـة : - - سـيدتى الجميلة .. تقبلى أسفى الشديد ، فأنا مضطر لقتلك الآن " !!

ثم مال نحوه مردفا :

- هل تريد أن تفلس الدار يا أستاذ (أحمد) ؟!

أسرع (أحمد) يقول بدهشة :

- كلا بالطبع .. ولكن ، لم هذا السؤال ؟!

عاد (أمجد) لثورته من جديد :

ـ أتسألنى لم ؟! أتسعى لإصابتى بالجنون يا رجل ؟! هل يوجد سفاح في العالم يحزن لقتله إحدى ضحاياه .. والأدهى أنك لم تذكر كيف قتلها ؟!

مضت لحظات من الصمت ، إلى أن قال (أحمد) :

ـ في الواقع يا سيدى ، أنا لست متخيلا وجود مثل ذلـك الرجل الذى يقدم على قتل سيدة رقيقة ، مثل السيدة (هـدى) بطلة روايتى ، دون حتى أن يحزن لارتكابه تلـك الجريمـة الشنعاء ! ولسبب نفسه أغفلت ذكر وسيلة القتل !

تطلع إليه (أمجد) ، كأنما يتطلع إلى معتوه ، ثم قال :

ـ وماذا عن الفصل الخامس ؟!

سأله (أحمد) بتوتر ، وقد غمره العرق :

ـ ماذا عنه ؟!

ـ في وصفك للسفاح .. إنك تقول ـ على لسان المقـدم (محسن) : " إنه رجل غير آدمى " .. أهذا أقصى ما استطاع أن يقوله البطل ، عن الرجل الذى قتل زوجتـه ـ زوجـة المقدم ـ التى يحبها أكثر من نفسه ؟!

سأله (أحمد) ببلاهة :

ـ وماذا يستطيع أن يقول ؟!

صرخ (أمجد) في وجه :

ـ إن أقل ما يقال عن سفاح كهذا ، أنه ذئب بشـرى .. وحش حقير .. وغد دموى .. قاتل شيـ ... !!

ثم توقف عن إتمام عبارته ، واستطرد بحنق :

ـ لا فائدة ! ثم ما هذا العبث الذى كتبتـه فـي الفصـل الأخير ؟!

(أحمد) بقلق :

ـ أى عبث ؟!

عاد (أمجد) يتصفح الملف ، ثم أخذ يقرأ ثانية :

ـ " واستمرت المطاردة بين الاثنين حتى بلـغ (شـادى) حافة الجبل ، فالتفت يواجه المقدم (محسن) محـاولا طعنـه بمديته الحادة ، إلا أن (محسن) تفادى الطعنة بسرعة ، ووجه إلى وجه (شادى) قبلة حانية أودعها كل رقته ، ألقت به مـن فوق الجبل " !

فغر (أحمد) فاه بذهول .. ومضـت لحظـات ، قبـل أن يهتف بخجل :

ـ معذرة يا (أمجد) بك ، يبدو أن ذهنى قد شـرد وأنـا أكتب هذه العبارة ، لقد قصدت أن أقول :

" ووجه إلى وجه (شادى) لكمة ساحقة ، أودعها كل قوته، ألقت به من فوق الجبل .. "

سيادتك تعلم أننى كاتب رومانسى .. وليس لـى خبـرة بالكتابة البوليسية .

تنهد الأستاذ (أمجد) ، بعد أن هدأت ثورته أخيرا ، ثم قال بلهجة الواعظ :

ـ استمع إلى جيدا يا (أحمد) .. إننا لم نعد نحيا في عصر الرومانسية .. لقد انقرضت رومانسيتنا ، وذهبـت للأبـد .. حياتنا الآن هى مزيج رهيب من العنف والصـخب .. مـن شجار بالأيدى بين اثنين من المتشـردين ، إلـى الحـروب التكنولوجية التى تفنى دولا بأكملها .. من صـراخ الرضـع الذين يولدون سنويا بالملايين ، إلـى ضوضـاء المصـانع والسيارات التى فاقت البشر عددا .. لم يعد في قلـب ذلـك الجنون مكانا لكلمة رقيقة ، أو همسة حانية .. هل تفهمنى ؟!

أومأ (أحمد) برأسه إيجابا ـ كأنما يقرأ خبر نعيـه فـي الصحف ـ دون أن ينبس ببنت شفة .. فتابع الأستاذ (أمجد) حديثه ، قائلا :

ـ حسنا .. خذ ، واذهب لتصلح ما بها مـن أخطـاء ..
فهى ـ على الرغم من ذلك ـ تصلح كبداية .

و أعطاه الرواية ، فتناولها (أحمد) بيد مرتجفة ..

وغادر المكتب بخطوات زاحفة ..

كأنما يسير إلى القبر ..

على حين ابتسم الأستاذ (أمجد) ، قائلا بسخرية :

ـ يا له من رومانسى .. سفاح ! ويدعى (شادى) !!

***

الأرضى

الأرضي

أخذت أتصفح الملف الذى بين يدى ، وعيناى تلتهمان كل ما جاء به ، من تفاصيل الحـادث .. وأقـوال الشـهود .. وبيانات كل من المتهم ، والقتيل .. أو المتوفى ـ كما يؤكـد الجميع ـ بالإضافة إلى تقرير الطبيب الشرعى .. ثم رفعت عينى إلى المتهم الماثل أمامى ، أرمقه باهتمام .. على حـين أخذ هو الآخر يرمقنى بدوره ، بعينيه الواسعتين ، العميقتين .. المخيفتين ..

وعلى شفتيه .. ارتسمت تلـك الابتسـامة المسـتهترة ، الساخرة .. التى كادت تدفعنى لأن أهب واقفـا ، وأنقـض عليه.. لأكيل له لكمة تعارف ساحقة ، تطيح بأسنانه الصفراء هذه .. فلا يغتر بعدها بطول قامته ، ولا بعضلاته المفتولـة ثانية ..

إلا أننى تراجعت في اللحظة الأخيرة .. وسألته بهدوء :

ـ إذن .. فأنت لم تقتله ؟

مال نحوى ، واستند براحتيـه إلـى سـطح مكتبـى .. ثم سألنى متهكما :

ـ كيف أقتله يا (باشا) .. بالريموت كونترول ؟!

عدت أتصفح الملف ، متجاهلا إياه .. محاولا العثور على ثغرة ، أنفذ من خلالها إلى حقيقة ما حدث .. لكن ذلك بدا لى شبه مستحيل !

كل ما رواه الشهود يؤكد أن (سـيد عبـد الحفـيظ) ـ ـ المتوفى ـ كان يسير شارد الذهن ثم اصطدم بـالمتهم فـي أثناء سيره .. وبدلا من أن يعتذر (سيد) له .. أو حتى يتركه ويمضى إلى حال سبيله .. أخذ يسبه بألفـاظ تـذيب جليـد القطبين ، كأنما هو المخطئ ! بينما وقـف المـتهم يرمقـه بازدراء .. دون أن يفوه ببنت شفه ، يدافع بها عن نفسه ضد ذلك المعتوه ، ووجهه ـ وجه المتهم ـ يطفح بالغضب ..

وكعادة الناس في قطرنا الحبيب .. نسى كل منهم ما كان يشغله .. وأحاطوا بهم إحاطة السوار بالمعصم ، محـاولين تهدئة ذلك الأحمق الذى يسب رجلا ضعفه حجما !

وفجأة ! صمت (سيد) .. وأمسك بذراعه اليسرى ، وقـد فغر فاه ، وجحظت عيناه ، ثم أطلق شهقة قويـة .. وسـقط كالحجر !

من ثم ألقت الشرطة القبض على المتهم ، وبدأ التحقيق .. ثم أتى تقرير الطبيب الشرعى يؤكد ما توقعه الجميع .. أزمة قلبية مفاجئة ، نتيجة الانفعال الزائد ، أودت بحياة المعتوه في الحال !

إلى هنا ويبدو الأمر عاديا ، من الممكن حدوثه فـي أى وقت وأى مكان ، مادامت الدنيا عامرة بـالحمقى .. لـولا شهادة أحد الشهود التى لم يعرها أحـدهم أدنـى اهتمـام ، واعتبروا صاحبها مجرد معتوه آخر فحسب ..

هذا الشاهد يقسم إنه ـ بينما كان كل الشهود يحدقون في (سيد) حين أصابته الأزمة ـ رأى عينى المـتهم تتوهجـان بضوء أحمر عجيب .. والغضب على وجهـه يكشـر عـن أنيابه..

وكما سبق أن ذكرت ، لم يهتم أحدهم بهذه الشهادة .. إلا أنا ..

أنا الوحيد الذى كنت أشعر بأن هذا الذى يقف أمـامى لـه يد في مـا حدث .. وأنه ليس بشريا على الإطلاق ..

وكأنما قرأ هذا الشىء ما يدور ما يدور برأسى ..

فقد اتسعت ابتسامته أكثر .. وهو يقول لى :

ـ اطمئن يا (باشا) .. أنا لست من سكان المريخ .. أنـا أرضى !

أهو مجرد تخمين ؟!

ربما !

لكنى واثق أن ما يقف أمامى ليس هـو ذلـك المحاسـب الشاب .. الذى يؤكد زملاؤه في العمل أنه رجـل طيـب ، نزيه، دمث الخلق ، خفيف الظل ..

مستحيل .. هذا السمج خفيف الظل !!

إلا أننى لم أكن أملك سوى أن ...

" يخلى سبيل المتهم بلا ضمانات ! "

***

لكنى سأراقبه بنفسى ..

كذا اتخذت قرارى ، بعد أن أمـرت بـالإفراج عنـه .. وحفظت عنوانه عن ظهر قلب ..

وفى الليلة التالية .. كنت انتظره أسفل تلك البنايـة التـى يقيم بها .. وكانت عقارب الساعة تشير إلى الحادية عشـرة مساءً .. عندما خرج من البناية ، متجها بخطوات واسعة إلى

الشارع الرئيسى .. فغادرت سيارتى وتبعتـه ، محـاذرا ألا يرانى ..

واستمرت المطاردة ، حتى انحرف فجـأة فـي شـارع جانبى، ضيق ، مظلم .. فعدوت خلفه ، وانحرفت بدورى في ذات الشارع ..

وكما هو متوقع ، لم أجده ..

وبينما أنا أفكر في كل الاحتمالات الممكنـة .. فوجئـت بصوت يسألنى ساخرا :

ـ هل تبحث عنى أيها البشرى ؟

التفت ببطء ، ورأيت ما يؤكد ظنونى .. كان ذلك الشىء يقف هناك .. وقد أحاطت بجسده هالة مـن ضـوء أحمـر مخيف .. وقلت بصوت مبحوح :

ـ إذن فالأمر كما توقعت .. أنت لست بشريا !

قال باحتقار :

ـ بكل تأكيد أيها المتخاف !

ابتلعت إهانته ، كمن يبتلع قنفذا .. وسألته متهكما :

ـ من أى الكواكب أتيت إذن ؟! من (كريبتون) ؟!

أجابنى بغضب :

ـ أنا أرضى أيها القذر ، هل تفهم ؟! أنا أرضى !

صحت في غضب أشد ، وقد فرغ صبرى :

ـ لست قذرا يا بالوعـة المجـارى الحمـراء .. فـلا تحاول العبث معى !

هتف بثورة ، وهو يندفع نحوى طائرا ـ حقيقة لا مجازا:

ـ ومن تكون أنت حتى أعبث معك ، أيها التافه ؟!

وقبل أن تبدر منى حركة واحـدة ، أحـاطنى بذراعيـه المفتولتين ، مواصلا الصراخ :

ـ أنا أرضى .. أرضى !

وغاص بى إلى باطن الأرض ، وأنا أطلق صـرخة ألـم مرعبة ..

***

مهلا .. أرى بعضكم يسألنى .. كيف رويت لكـم هـذه القصة والمفترض الآن أن أكون فـي أعمـاق الأرض .. لا يعلم بمصيرى إلا الله ..

الأمر بسيط جدا .. لا .. ليس حلما ..

كل ما هنالك أننى ..

صرت أرضيا !!

صورة (الباشا)

صورة (الباشا)

أنا أكره الصور الفوتوغرافية !

مهلا .. لا داعى للتهكم ..

أجل .. أكره الصور الفوتوغرافية ..

لاسيما ..

صور الموتى !

لماذا ؟!

لست أدرى ..

ربما لأنها تذكرنا دائما بأحبائنا الغائبين ..

الذين ما عدنا نستطيع أن نراهم في عالمنا هذا ..

أو ...

أو لأنها تقول لنا بسخرية ، كلما نظرنا إليها :

ـ صبرا أيها الحمقى .. سوف تلحقون بنا في أية لحظـة .. وتتبخر ـ في جزء من الثانية ـ كل أحلامكم وطموحاتكم بشأن المستقبل !

المهم .. أننى أكرهها فحسب ..

ولا أطيق رؤيتها أيضا !

إلا أننى مرغم على أن أرى إحداها كل يوم !!

صورة ميت هى ..

ويا ليته ميت كنت أعرفه !

حتى أكن له بعض الحب ..

أو حتى بعض البغض !

إنها صورة رجل لم أكن أعرفه !

ولم تكن بالتأكيد تسرنى معرفته !

فلست أعتقد أننى كنت سأميل لرجل له مثل تلك الملامـح القاسية .. والطربوش الأحمر المخيف .. والشارب الغلـيظ المفتول .. الذى يقف عليه الحما .....

لا .. لا داعى لذلك ..

الرجل ميت على كل حال !

أراكم تسألوننى : من هو ؟!

وما الذى يرغمنى على رؤية صورته كل يوم ؟!

أتودون المعرفة حقا ؟!

يالكم من حمقى !!

لا بأس ..

إنه .. (كاظم باشا) .. هذا هو كل ما أعرفه عنه !

ما صلتى به ؟!

سعادته .. جد (المدام) .. زوجتى !

والد والدتها .. السيدة (حماتى) !

وأنا الذى كنت أتساءل عن سر قسوة تلك الأخيرة !!

هها ! ها قد عرفت !

(باشا) من عهد الملكية البائد .. إقطاعى سابق ..

قضت الثورة على جبروته .. وعلى حياته أيضا !

وحرمى المصون تصر - بالطبع - على تعليق صورته اللعينة في ردهة شقتنا ..

ولم أستطع بشتى السبل إثناءها عما تريد ..

وكذا ترون أننى مرغم على أن أرى صورة (المجحـوم) في كل ساعة أقضيها في شقتى ..

وعملى ككاتب قصصى يجعلنى أقضى معظم اليوم فـي المنزل .. لا أبرحه ..

وبالتحديد في حجرة المكتب المطلة على الردهة ..

وذلك اللعين - مكتبى - يستقر فـي مواجهـة الجـدار المشئوم ، المعلقة عليه صورة (الباشا) !

أغلق الباب ؟!

لا .. أنا أكره الأماكن المغلقة !

ثم أن المشكلة ستظل قائمة !

فكلما عبرت الردهة ذهابا أو إيابا .. أرى عينـى ذلـك الوغد ـ في الصورة ـ ترمقنى بغضب أينما ذهبت !

وأكاد أتخيله سيصرخ في وجهى في أية لحظة ..

قائلا :

ـ يا فلاح .. يا ابن الفلاح .. من كان يتصور ذلك ؟!

حفيدة (كاظم باشا) تتزوج من هذا (الخرسيس) ؟!

حقا إنها الدنيا .. اسم على مسمى !!

وبعد ..

ماذا أفعل في تلك المشكلة ؟!

لقد حاولت مرة واحدة أن أتخلص من رؤية وجـه ذلـك (الباشا) .. ولو لبضعة أيام .. واليكم ما حدث :

ذات صباح ، أخبرتنى زوجتى أنهـا سـتذهب لقضـاء بضعة أيام عند والدتها ، لأنها ـ (حمـاتى) ـ ـ صـحتها على غير ما يرام هذه الأيام .. ربنا يأ ...

يشفيها !!

وهكذا وجدتنى وجها لوجه .. أمام صورة (الباشا) !!
وبينما أنا جالس في حجرة مكتبى ..
أكتب قصة جديدة ..
رفعت عينى من على الأوراق ، أريحهما قليلا ..
صدمتنى عيناه القاسيتان .. ووجهه الشرس ..
وشرد ذهنى .. وأنا أتخيل ما قد يفعله بى عندما يأتى الليل .. وأذهب إلى الفراش !
حاولت طرد هذه الخزعبلات المزعجة ..
إلا أننى لم أستطع ..
من ثم قررت أن أنزع الصورة من مكانها ..
طالما أن زوجتى ليست هنا لتمنعنى !
ونفذت القرار ..
نزعت الصورة بكل ما في قلبى من غل تجاه صاحبها ، وأودعتها صوان ملابس زوجتى ..
وأغلقت الصوان بالمفتاح .. بعدها ...
شعرت بلذة انتصار كاسحة ..
كأننى فزت لتوى بجائزة (نوبل) للآداب ..
ولم تعد بى رغبة في الكتابة في ذلك اليوم ..

فقررت الاحتفال بهذه المناسبة السعيدة ..
بقضاء سهرة ممتعة مع أصدقائى الأعزاء .. رفاق القلم..
وغادرت الشقة ..
وفى الثانية بعد منتصف الليـل عـدت إليهـا سـعيدا .. منتفخ الأوداج ..
ولم أكد أدلف إلى الردهة حتى ...
قفزت من مكانى فزعا .. وارتعدت فرائصى ..
وأنا أحدق في صورة (الباشا) المعلقة مكانها في الردهـة على ذات الجدار !!
وأخذت أتراجع في رعب .. محدقا في عينيه الغاضبتين..
وملامحه المخيفة ..
و .....
(عادل) !
أجفلت ..
والتفت بسرعة أرمق زوجتى .. ووجهها الغاضب ..
وسمعتها تقول :
ـ عدت مبكرا ! لماذا لم تبت عند من كنت عندهم ؟! أو من كنت عندها ؟!

تنفست الصعداء .. وقالت ، حينما عاد لى صوتى :

ـ حرام عليك .. لقد كنت ساهرا مع أصدقائى من الكتاب .. ولكن لماذا عدت أنت ؟!

ـ طبعا لم تكن تريد عودتى ! لقد وجدت أن وجودى مع والدتى أصبح غير ذى فائدة .. لأنها ستسـافر غـدا إلـى (الإسكندرية) ، لتغير جو عند أختى (سعاد) .

ـ تسافر وتعود بالسلامة .

مضت برهة من الصمت .. نظرت خلالها زوجتى إلـى صورة (الباشا) .. قبل أن تسألنى بلوم متغطرس :

ـ لماذا نزعت صورة جـدى (الباشـا) مـن مكانهـا ، ووضعتها في صوان ملابسى ؟!

ـ آ .. كنت أريد مشاهدتها عن قرب .. ثـم نسـيت أن أعلقها ثانية .

نظرت إلى غير مصدقة .. قبل أن تهز رأسها متعجبة .. وتتجه إلى غرفة نومها .. قائلة :

ـ طبعا .. إن غاب القط !!

تجاهلـت تعبيرهـا السـوقى .. الـذى يتنـافى مـع أرستقراطيتها..

والتفت أتأمل صورة (الباشا) ..

وخيل إلى .. أن ابتسامة متشفية ..

ترتسم على شفتيه !

***

من مذكرات مريض نفسى ..

المشرف على الحالة /

د . رمزى عبد الدايم

***

الحرباء

الحرباء

فجأة !

وجد نفسه في تلك الحجرة !

يد غليظة فتحت الباب .. و دفعته بعنف ..

ليسقط على أرضيتها الصلبة ..

ثم أغلقته خلفه !!

نهض واقفا .. تطلع إلى الحجرة في رهبة ..

كانت خالية من الأثاث .. واسعة إلى درجة مرعبة ..

ليس بها .. سوى مائدتين مستديرتين ..

إحداهما ..

جلس حولها مجموعة من الكهول و الشيوخ ..

منهمكون في عمل ما !

والأخرى ..

جلس حولها بضعة فتيان وفتيات .. في مثل سنه ..

يتبادلون حديثا .. يبدو أنه شيق للغاية ..

إذ أنهم كانوا يضحكون بصوت عال ..

بين الفينة والفينة !

شعر بالخوف !

التفت خلفه .. وأخذ يدق الباب بكلتا قبضتيه ..

صارخا :

" افتحوا لى .. أخرجونى من هنا ! "

لكن ..

ما من مجيب ..

عاد يلتفت إلى الحجرة .. يتأملها من جديد ..

رأى بابا آخر في نهايتها ..

لكنه يبدو أكبر من الأول ..

ركض نحوه بلهفة ..

اتضح له أنه بابان !!

حاول فتح الأيمن .. لكنه لم يستجب ..

مد يده المرتجفة إلى مقبض الأيسر ..

أدار المقبض .. ففتح الباب ..

لكنه لم يكد يبتسم .. حتى وجد أمامه وحشـا خرافيـا .. يستعد للانقضاض عليه !!

تراجع برعب .. وأغلق الباب بإحكام ..

شعر باليأس !

رفع عينيه .. فرأى أعلى البابين رسما مخيفـا لجمجمـة بشرية !

زاد رعبه ..

استدار يتأمل المائدتين ثانية ..

شعور غامض جعله يتجه إلى مائدة الكبار ..

رغم أنه كان يفضل مائدة الشباب !

وجد مقعدا خاليا .. فجلس ..

رمقه أصحاب المائدة بازدراء ..

ثم عادوا ينهمكون في عملهم من جديد ..

وجد أمامهم مجموعة هائلة من المكعبات ..

يبنون بها بناء غريب الشكل .. معقد التصميم !

حاول تقليدهم ..

تناول مكعبا .. وهم بوضعه في البناء ..

تنبهت حواسهم ..

وتابعت عيونهم يده الممسكة بالمكعب ..

لتعرف .. أين سيضعه ؟!

وضعه فيما ظنه المكان الأمثل ..

إلا أن أحدهم نهره هاتفا :

" ليس هكذا "

وضعه في مكان ثان و ..

" ليس هكذا "

فى مكان ثالث ..

" ليس هكذا "

رابع ..

" ليس هكذا "

شعر بالحنق !

ترك المكعب على المائدة .. وانسحب في هدوء ..

فى تردد .. يفوق (هملت) ..

اتجه إلى المائدة الأخرى ..

لم يجد مقعدا خاليا ..

ظل واقفا ..

كانوا يتحدثون بلغة عجيبة ، لم يسمعها من قبل !!

حاول فهمها .. حاول .. حاول ..

لكن لا فائدة ..

شعر بالغضب !

صرخ بقهر :

" ماذا تقولون ؟! "

لم يلتفت إليه أحد ..

بضيق شديد .. اتجه إلى أحد الجدران ..

جلس على الأرض .. مسندا ظهره إلى الجدار ..

وجد بجانبه مجموعة روايات .. بدأ يقرأ ..

قرأ رواية .. روايتين .. ثلاث .. عشر روايات ..

شعر بالأمل !

رأى نافذة في الجدار المستند إليه ..

هب واقفا ..

حاول بلوغها ..

قفز عاليا ..

قفز ..

لكنها كانت عالية ..

عالية ..

عالية ..

شعر بالحزن !

بإرهاق شديد .. عاود الجلوس ..

رأى على أرضية الحجرة .. حرباء صغيرة ..

ميزها بصعوبة من لون الأرضية ..

المماثل للونها ..

رمقها بنظرة حانقة ..

شعر بالحسد !

***

فندق الشبح

فندق الشبح

منتصف مارس .. العاشرة والنصف مساء .. ليلة عاصفة ممطرة ..

كنت جالسا كعادتى في قاعة الاستقبال بفندقى الصغير .. الذى يقع على جانب الطريق المؤدى إلى الغابة ..

أنتظر ذلك المأفون الذى قد تسول له نفسه القـدوم إلـى الفندق .. للإقامة في إحدى حجراته لبضعة أيام .. كما كـان يحدث في الماضى ..

وابتسمت ساخرا ، وقد تملكنى اليأس بعد طول انتظار .. وأخذت أحدث نفسى ، قائلا :

ـ " أى معتوه هذا الذى يأتى إلى هنا .. بعد كـل تلـك الأقاويل التى ترددت حول الفندق .. وذلك الشبح الذى يجوب حجراته ليلا .. ليذبح النزلاء .. ثم يلقى بجثثهم إلى الغابـة القريبة ؟! "

وعدت أطرق برأسى ثانية .. وقد اكتسى وجهى بالحزن .. من أثر الحالة التى صرت إليها .. حتى انتفضـت فجـأة على صوت هادئ ، يسألنى بلهجة مهذبة :

ـ " معذرة يا سيدى .. هل أنت صاحب الفندق ؟ "

أسرعت التفت جهة باب الفندق .. وقد شملتنى الدهشة من قمة رأسى .. وحتى أخمص قدمى !!

ورأيته .....

شاب أجنبى الملامح ، وسيم الوجه ، قوى الجسـد .. ذو بشرة سمراء فاتحة ، وشعر أسود فاحم .. وعينين عسليين ، وذقن عريض ، وابتسامة ودود ..

وسرعان ما تغلبت على دهشتى ، وهرعـت لاسـتقباله بفرحة غامرة ، وترحيب حار ، وقد تبدل حزنـى العميـق بسعادة جارفة ..

وأخبرته أننى صاحب الفندق .. وأنى أحيا هاهنا بمفردى .. لكننى أستطيع أن أوفر له كل احتياجاته ، ومتطلباته ..

وعلمت منه أنه سائح مصرى .. يدعى (أشـرف عبـد الصبور) .. كان في زيارة للبلدة المجاورة .. للتعرف علـى عادات شعبى ، وتقاليده الراسخة .. بعيدا عن جـو المدينـة

الخانق ، وصخبها الدائم .. عندما تبدل الجو بغتة .. وهطلت الأمطار دون سابق إنذار ..

فأوى إلى فندقى هذا .. ليبيت فيه ليلته .. على أن يعـود إلى المدينة صباحا .. ثم لم يلبث أن سألنى السؤال المنتظـر ....

ـ " لماذا يخلو فندقك من الرواد ؟! "

فأجبته قائلا :

ـ " يقولون أن به شبح .. يذبح النزلاء ليلا .. ثم يلقـى بجثثهم في الغابة !! "

ـ " هنا أيضا ؟! "

ـ " ماذا يعنى سيدى ؟! "

ـ " إنهم يقولون أن هناك شبح آخر .. يقطن في البلـدة المجاورة .. ولا يظهر إلا في مثل هذه الليلة من كل عام .. ليلة النصف من مارس !! "

ـ " ولماذا الليلة بالذات ؟! "

ـ " أخبرنى أحدهم .. أن ذلك الشبح لسائح غريب .. قدم لزيارة بلدتهم منذ عشرة أعوام .. في مثل هذا اليـوم مـن السنة .. وعند منتصف الليل أراد العـودة إلـى المدينـة ..

فخرجت عليه عصبة من اللصوص يبغون سرقته .. فحاول الدفاع عن نفسه بمدية حادة كانت معه .. لكنهم كانوا كثرة ، فمزقوه إربا ، وأخذوا كل ما وجدوه معه ، وتركـوا مديتـه بجانب جثته .. ثم لاذوا بالفرار .. ومن يومهـا .. وشـبح السائح يجول طرقات البلدة ليلا .. يطرق أبـواب الـدور .. مدعيا أنه غريب فاتته الحافلـة .. ويطلـب الإيـواء حتـى الصباح .. ومن يؤويه .. يستيقظ أهـل البلـدة صـباحا .. ليجدوه مذبوحا – هو وجميع من في البيت .. ويحدث هـذا في ليلة النصف من مارس في كل عام !! "

– " ما أعجب هذا الإنسان !! لـو أن كـل قتيـل قتلـه اللصوص عاد شبحه ليلا ليذبح الناس .. لخلت الـدنيا مـن الأحياء ، وباتت ملها ليليا للأشباح تلهو فيه حيثما تشاء ! "

– " صدقت .. "

ثم إننى أعطيته مفتاح حجرته .. وقدته حتى بابها بنفسى .. إذ لم يكن هناك خدم بالطبع .. وبعدها عدت إلى حجرتى .. وأخذت أتسلى بالقراءة ، حتى أعلنت دقات الساعة عـن تمام منتصف الليل ..

فتركت الكتاب الذى كنت أقرأه جانبا .. وتناولـت ذلـك الخنجر الأنيق .. ونهضت متجها إلـى بـاب حجرتـى ، و ....

فتحت الباب .. لأجده أمامى ، وبيده مديته الحادة ، وعلى وجهه ابتسامة شرسة ..

يالى من غبى !!

كيف لم أنتبه إلى ملابسه الجافة عندما دخل الفندق ؟!!

اللعنة ! .. لقد كان هو نفسه شبح البلدة المجاورة !!

لكنى كنت الوحيد الذى لم يستطع ذبحه ..

أتدرون لماذا ؟!!

***

من الجانـي ؟!

من الجاني ؟!

ابتسامة واثقة ترسم خطوطها على وجهه ، وهو يخطـو نحو سيارته (المرسيدس) الفاخرة ، وشعور جارف بالسعادة يغمره ، ويملك عليه جميع مشاعره الأخرى ..

لكنه ما أن استقر داخل سيارته ، وأدار محركها استعدادا للانطلاق ، حتى رأى في مرآتها عينين غاضبتين ، ترمقانه من الأريكة الخلفية !

***

كان مصدر سعادته أنه قد انتبه لنفسه قبل أن يفوته قطار الزواج ، ويضيع كل ما بناه خلال أربعـين عامـا هبـاء ، والسبب في يقظته المفاجئة من سباته العميق كان خطاب ..

خطاب جاءه بالبريد العادى ، على مقر عمله بالكلية ، من طالبة من طالباته ، تشكوه إلى نفسه ، وتتهمـه بأنـه قـاس القلب، متحجر المشاعر ، إذ لم ينتبه إلى حبها له ، وإعجابها بشخصه ، اللذان كانا يفصحا عن نفسيهما فـي كـل كلمـة تتبادلها معه ، وكل سؤال تلقيه على مسامعه ، طوال الأشهر الخمسة الماضية !

لكنه بدا لها كالحصن المنيع ، الذى لا يجرؤ أحـد مهمـا كانت شجاعته على الاقتراب منه ، بسبب ما يـراه النـاس المحيطون به ، من تحصينات الصرامة ، والهيبة ، والوقار، وعدم الابتسام حتى في أكثر اللحظات مرحا ، وسرورا ..

لذا فلم تجد أمامها سوى أن ترسل له تلك الرسالة ، وهى تضع يدها على قلبها ، تصارحه فيها بمشـاعرها تجاهـه ، وترجوه من خلالها أن ينتبه إليها .. حتى وإن لـم يحبهـا ، يكفيها أن يعرف أنها تحبه !

ولم توقع باسمها في نهاية الخطاب ، وإنما كتبت الحروف الأولى منه فحسب ، وتركت له مهمة التعرف عليها ..

لكنه في تلك اللحظة ، كان يرى عينين غاضبتين تحدقان في مؤخرة عنقه ، وفوهة مسدس بـاردة ـ مـزودة بكـاتم للصوت ـ تلتصق برأسه !

***

حصل على البكالوريوس بتقدير امتياز مع مرتبة الشرف، مما أهله إلى العمل بالكلية كمعيد .. فاندفع يعمل ويعمل بكل ما استطاعه من جهد ، حتى حصل علـى الماجسـتير ثـم الدكتوراه ، وصار أستاذا بنفس الكلية التى كان بالأمس طالبا

بها .. يعينه في ذلك تشجيع أسـاتذته ، وإعجـابهم بنبوغـه وعبقريته ..

ولم يدر في ذهن واحد منهم أن ذلـك النبـوغ ، وتلـك العبقرية ، مبعثهما الغضب !

الغضب والحنق على المجتمع ، اللذان جعلاه يكسو وجهه بقناع دائم من الصرامة ، والهيبة ، والوجوم ، و ......

والحزن !

وأن يتفوق ، ويتفوق ، ويتفوق حتى يصل إلى مـا هـو عليه الآن ..

لكنه الآن يرى سبابة تستعد لضغط الزناد ، واضعة حـدا لتفوقه !

***

حتى انتبه ..

انتبه على ذلك الخطاب ، الذى وصله من تلك الطالبة ..

انتبه إلى أنه قد أفنى عمره كله في العلم والتحصيل ، ولم يفعل ما يجعل لوجوده معنى ..

انتبه إلى أنه لم يتزوج !

وبحث عنها ، وعرفها .. وطار قلبه فرحا ..

إذن فما زالت الفرصة أمامـه ، هـاهى ذى فتـاة فـي العشرين من عمرها ، جميلة ، رقيقة ، مهذبة .. تحبـه ، أو تتوهم أنها تحبه ! ولن يرفضه أهلها إذا تقدم لخطبتها .. وقد حدث ..

هو ذا يغادر شقة أبيها ، بعد أن قرأ معه الفاتحة ، وحددا موعد الخطبة ، ويركب سيارته (المرسيدس) الفاخرة ..

حين رأى العينين الغاضبتين !

***

" من أنت ؟! .. وماذا تريد ؟! "

قالها في هدوء ، لا يخالجه أدنى توتر ، حين رأى السبابة الرهيبة تتردد في ضغط الزناد ..

" أنا (حسام) يـا دكتـور (عـادل) .. (حسـام شـاكر) تلميذك بالسنة الثالثة في الكلية .. "

صوت يموج بالغضب كعينى صاحبه .. إنه يعرف هـذا الصوت جيدا ، فهو لا ينسى أصوات المتفوقين من تلامذتـه أبدا ..

" وماذا تريد يا (حسام) ؟! "

" ياله من سؤال ! قتلك يا أستاذى .. أريد قتلك ! "

" ولم ؟! "

" لأنك تسلبنى حقى .. "

" أنا أسلبك حقك ! كيف ؟! "

" (سهام) .. "

" (سهام) ؟! وما شأنك بها ؟! "

" لقد تعاهدنا على الزواج ، منذ أن كنا بالسنة الأولى بالكلية ، بمجرد أن يتخرج كلانا ونحصل على عمل مناسب .. إلا أنها فجأة سحبت عهدها لى - بعد عامين من الحب والأحلام الجميلة - دونما سبب واضح .. لكننى لم أقتنع بذلك التراجع المباغت ، وظللت أبحث عن السبب الذى دفعها إليه ، حتى علمت من زميلة مشتركة لنا أنها تحبك ، وأنك ذاهب اليوم لقراءة الفاتحة مع والدها ، فقررت قتلك .. فلن أسمح لك أبدا بأخذها منى ! "

" ولماذا تقتلنى أنا مادمت قد علمت أنها تحبنى ؟! لماذا لا تقتلها هى ؟! "

" لا تحاول أن تثنينى عما انتويت يا دكتور .. المسـكينة معذورة إذا توهمت أنها تحبك ، بعد أن بهرتهـا بوسـامتك المفرطة ، ومركزك المرموق ، وذكاءك الحاد .. "

" ولماذا لا تقول أنها تنظر لثروتى ؟! "

" (سهام) لا تفكر بهذه الطريقة يا دكتور .. "

" كلهن يفعلن يا (حسام) .. "

" لا .. أنت من سلبنى حقى ، وليست هى ! "

" بل أنت من يريد أن يسلبنى حقى يا (حسام) ! "

" أنا ؟! "

" نعم أنت .. إنها لى ، فأنا أقدر منـك علـى رعايتهـا وحفظها ، وتوفير كل أسباب الراحة والهناء لها .. "

" ولكنك تكبرها بعشرين عاما .. أى أنك لـو كنـت قـد تزوجت وأنت في مثل سنى ، لكان لديك الآن فتاة في مثـل عمرها تقريبا ، فماذا منعك ؟! هل انتظرت كل هذه السـنين لتأخذها منى ؟! "

" منعنى أستاذى ! "

" أستاذك ؟! "

أخرج من جيب سترته دبلة فضية ، ناولها لتلميذه قائلا :

" أترى هذه ؟! "

" ماذا عنها ؟! "

" كانت في يدى اليمنى منذ عشـرين عامـا .. أتـدرى من صاحبتها ؟! "

" من ؟! "

" أرملة الدكتور (علاء فكـرى) رحمـه الله .. أسـتاذى والمشرف على رسالة الـدكتوراه الخاصـة بـى .. كانـت زميلتى، وقد تعاهدنا على الزواج .. ولكن فقرى حـال دون إتمام ما تعاهدنا عليه ، فصارت لأستاذى .. كادت الصـدمة تقتلنى ، لولا أن فطنت وقتها إلى أننى لسـت قـادرا علـى رعايتها ، فتناسيت الأمر برمته ، وشققت طريقى في الحيـاة ، دون أن انتبه إلى أنه توجد غيرها ، من تصلح لأن تكـون زوجة لى ، حتى نبهتنى (سهام) .. إنها سنة الحياة يا (حسام) ، فلا تدع الصدمة تقتلك ! "

صمت مهيب ساد بينهما ، بعد أن ألقى (عادل) عبارتـه الأخيرة .. قطعه (حسام) بقوله :

" لا يا دكتور .. ليست هذه سنة الحياة .. هناك جيل مـا ترك حقه يسلب .. ولا ينبغى أن تدفع الأجيال التالية له ثمن غلطته !! "

وازداد توتر إصبعه على الزناد ...

***

حمام زغلول

حمام زغلول

ابتسمت في سخرية ، وأنا أتأمل ذلك الشاب النحيل ، الذى داف إلى المكتبة بخطوات خجلـة متـرددة ، واتجـه إلـى صاحبها يسأله بصوت خافت :

ـ هل أجد لديك الكتاب الأخير للأستاذ (حمام زغلول) ؟

ناوله الرجل الكتاب المطلوب بلا اكتراث .. فتلقفه الشاب في لهفة ، ونقده الثمن بسرعة .. قبـل أن يغـادر المكتبـة بخطوات أقرب إلى العدو ..

" يا لهم من بلهاء ! "

كذا قلت لنفسى ، وأنا أتعجب من أمـر أولئـك القـراء الأغبياء ، الذين يقرءون لذلك الكاتب قليل الحياء ، المـدعو (حمام زغلول) !

إنه الكاتب الوحيد ـ على حد علمى ـ الذى يشتم قـراؤه علانية على صفحات كتبه .. ورغم ذلك يصر أولئك القراء

الحمقى على شرائها .. وكأنما يشجعون ذلك الوغـد علـى وقاحته وقلة أدبه !!

لقد عجزت تماما عن معرفة ذلك السر الذى يشدهم إلـى كتاباته .. فقد قرأتها جميعا مرة بعد مرة ، ولكنى لم أجد بها ما يجذب أولئك الشباب علـى قراءتهـا ، والتلهـف علـى صدورها إلى ذلك الحد !!

فلا هى كتابات سياسية .. ولا هى برسائل علميـة .. ولا حتى روايات بوليسية !

وليست بالطبع قصص عاطفية ملتهبة .. بين قوسـين .. (شديدة الاحمرار) !!

وإنما هى فلسفة (عبيطة) .. وقحة .. مدمرة .. يخاطـب فيها المؤلف القارئ مباشرة .. محاولا أن يثبت له في كـل كتاب ، وصفحة ، وجملة ، وكلمة ..

وحتى في كل حرف !

أنه ـ القارئ لا الكاتب .. وان كنت لا أرى فارقا كبيرا بينهما ـ حمااااااار !!

نعم حمار !

حمار في كل ما يفعله ويقوله في حياته .. من المهد إلـى اللحد !!

من التعليم .. إلى التخرج .. إلى العمل ..

إلى أن يتزوج ، و ينجب أول جحش !

وهو بوصوله إلى تلك المرحلة الأخيرة ، يكون قـد نـال درجة الدكتوراه في علم الحمورية !!

وهو علم تغرق في محيطه علوم الطـب ، والهندسـة ، والكيمياء ، والفيزياء ، وغيرها من العلوم الدنيوية التافهـة ، في نظر الأستاذ (حمام زغلول) طبعا !

فعل واحد يفعله الإنسان في حياته كلها ، لا ينطبق عليـه قانون الحمورية الخاص بالأستاذ (حمام) !

وهو الموت !!

وحتى هذا يفعله الإنسان دون إرادته عادة ..

لذا فهو يموت حمارا ، كما عاش طوال عمره حمارا !

ولو كان غير ذلك ، لفضل الانتحـار علـى أن يعـيش حياته كالحمار !!

وإذا كان الأستاذ الكبير (صـلاح جـاهين) يقـول فـي رباعياته الشهيرة :

وما فيش حمار بيحاول الانتحار

فإن الأستاذ (حمام زغلول) يؤكد ذلك بصورة حاسـمة ، قاطعة ـ كما فسر العبارة ـ منددا بالإنسان الوضيع ، الذى يتقبل في خضوع ظلم الواقع وذله ، راضيا أن يعيش حياتـه كالحمار ، ولا يلقى بنفسه في أقرب بالوعة مجارى مفتوحة تقابله !!

يا له من كاتب أبله !

ويا لهم من بلهاء أولئك القراء الحمقى الذين يقبلون علـى شراء كتبه بكل غباء و(عبط) !

إلا أننى سألقى الأمر برمته خلف ظهرى الآن ، وأعـود إلى بيتى مسرعا ، بعد أن اشتريت مجموعة من الكتب القيمة في الأدب ، والسياسة ، وخلافه .. لأكمل الفصل الأخير من كتابى الجديد .. والذى ـ بكل تأكيد ـ سينفذ فور صدوره .. مادام هناك أولئك القراء الحمقى .. الذين يقرءون بشغف كل ما أصدره من مؤلفات !!

حمام زغلول

***

الفتى النبيل

الفتى النبيل

ـ نبيل ـ

أخيرا .. خرج (نبيل) إلى الناس ..

أخيرا ، وبعد عام كامل من الانطواء والعزلة ..

قرر الخروج إليهم .. ومواجهتهم ..

لكن .. ترى هل ستنجح هذه المواجهة ؟!

هل سيستطيع التعامل معهم ؟!

والسير في ركابهم ؟!

هذا ما ستوضحه لنا الأيام التالية ..

فتعالوا نعيشها معه ..

ونشاركه إياها ..

علنا نستفيد ..

***

فى الطريق ..

نراه يسير شارد الذهن ..

عقله لا يستطيع تمييز من يعبر بجواره ..
أهو رجل .. أم امرأة ..
كلهم أشباح يسيرون إلى حيث لا يعلم ..
ولا يشغله ذلك ..
إن ما يشغله أمر مختلف تمام الاختلاف عما يشغل الناس جميعا في عصرنا هذا ..
ألا وهو التكرار ..
إنه يرفض أن يكون نسخة مكررة من هذا وذاك ..
فهو لم يخلق لذلك ..
وهذا ما تعود أن يفهمه طوال عمره ..
أن له كيانه الخاص ..
الذى يجب أن يزود عنه بكل ما يملك من وسائل القوة ..
ولا يدع لأحد الفرصة كى يمسخه أو يشوهه ..
أو ..
أو يحوله إلى شخص تقليدى ..
إنه مختلف ..
وهذا الاختلاف ليس أفضلية بالتأكيد ..
فهو يؤمن بأن لكل إنسان كيانه الخاص ..

لكن الناس لم تعد تؤمن بهذا ..
وتفضل أن تكون قرودا .. يقلد بعضها بعضا ..
والاستثناء يؤكد القاعدة .. ولا ينفيها ..
ومازال يمشى ..
ويتذكر ...

صفحة من كتاب الماضى

(هيام) : ـ (نبيل) .. لا تفعـل بـى هـذا أرجـوك .. لاتتركنى .. أنت تعلم أننى أحبك .. أنا واثقة من أنك تثق في حبى لك .. فلماذا تتركنى ؟!

(نبيل) : ـ (هيام) .. لا تحاولى .. لقد قلت لك أسبابى .. ولن أعيدها !

(هيام) باكية : ـ أنا لا أفهم أسبابك تلك ! ما معنى أنـك مختلف ، وأننى لا أناسبك ؟! لقد قلت لى من قبل ـ أن بـى كل صفات فتاة الأحلام ، التى تخيلتها لنفسك .. وأنك لن تجد مثلى ، ولو بحثت العمر كلـه .. فهـل أجرمـت حينمـا صارحتك بحبى ، قبل أن تفعل أنت ، وتصارحنى بحبك ؟!

ـ أنا لا أقبل هذا على نفسى أبدا !

ـ إذن فهى عقدة الرجل الشرقى ! أنت لست مختلفا فـي شىء ! أنت مثل الآخرين !

ـ لا ـ قالها في ثورة ـ أنا لست مثل أحد .. ربما كنت أقل منهم .. لكنى لست مثلهم .. ثم إننى أكره أن أستعمل في حديثى مصطلحا ، أخترعه الرجل الغربى ، ليبـرر لنفسـه انحرافه ، وسوء سلوكه ، وبعده عن ربه (عز وجل) !

ـ أنت ! أنت هكذا دائما ! تبهرنـى بأسـلوبك ، وقـوة حجتك .. لهذا .. ولأشياء أخرى كثيرة .. أحببتك .. فلمـاذا تصدنى ، وتجرحنى ؟!

لولا علمى أنك تحبنى من صميم قلبـك .. مـا سـمحت لنفسى أن أتلفظ بهذا الكلام ، الذى يبدو وكأنه يحمل الإهانـة لى !

لكن عذرى أن من تجد مثلك ، لا ينبغى أن تفرط فيـه ، حتى وإن كان لا يحبها بالفعل ، فما بالك وأنت تحبنى ؟!

ـ ولأننى أحبك .. أقولها لك يا (هيام) ..

ابحثى عن غيرى .. سوف تجدين .. تخيلى أننى مت .. أو أنك لم تعرفيننى مطلقا ..

أنا أكره أن أسبب لك أى ألم .. وهذا الذى أفعله يمثل أول ألم بالنسبة لك ، لو بقيتى معى !

أرجوك يا حبيبتى .. أنت قادرة علـى تغييـر نفسـك .. لكننى لا أستطيع فعل ذلك ..

إن بقاءك معى يعنى الانتحار دون موت !

(هيام) ! (هيام) !

صفحة أخرى

(نبيل) : ـ إذن فأنت تكره الناس جميعا ؟!

(وحيد) : ـ نعم أكرههم .

(نبيل) : ـ إنها المرة الأولى التى تصارحنى بشىء كهذا!

(وحيد) : ـ لأننى مللت مثاليتك .. وأكره أن أمتاز بها !

(نبيل) : ـ ولكنك تعامل الجميع باحترام بالغ .. وأدب لا أمتلك نصفه !!

(وحيد) : ـ تلك هى مصيبتى ! لكم تمنيـت أن أكـون شخصا آخر غير ذلك الفتى المهذب ، الـذى أنـا عليـه ..

شخص يخاف الناس من سـلاطة لسـانه ، وقلـة أدبـه .. ويعملون لذلك ألف حساب وحساب !

ـ إذن .. فأنت تكرهنى بدورى !

ـ نعم .. أنا أكرهك .. أكرهك لأنك مثلى .. مهـذب .. معذب .. لا يجد نفسه في هذه الحياة ، وهذا المجتمع .

ـ لا .. أنا لست مثلك .. أنا لا أكره الناس .. أنا أحـبهم .. حقيقة أحبهم .. حتى لو أساءوا إلى فأنا أحبهم !

ـ بل هذا ما تحاول خداع نفسك بـه .. أنـت مثلـى .. تكرههم .. وتتمنى فناءهم .. أنت مثلى .. هل تفهم ؟ مثلى !

ـ لا ـ قالها في ثورة ـ أنا لست مثلك .. أنا لست مثل أحد .. أنا مختلف .. هل تفهم أنت ؟! أنا مختلف !

لا .. لا .. لا !

صفحة ثالثة

ـ تقول أنك لن تعمل ؟!

ـ نعم يا أبى !

ـ كيف يا (نبيل) ؟! لقـد أتممـت دراسـتك بنجـاح .. وحصلت على شهادتك بتقدير يؤهلك للحصـول علـى أيـة وظيفة ترغب .. فلماذا يا ولدى ؟!

ـ لأننى غير مستعد للتعامل مع الناس .. والعمل يحتـاج إلى شخص اجتماعى ، يمكنه إقامة العديد مـن العلاقـات ، حتى يستفيد بها في مجال عمله .. وهذا غير متاح لى حاليا .

ـ كيف ؟! إنك أكثر من عرفت حبا للناس ..

وتسامحك معهم يجعلهم يحبونك ، منذ أول حوار يـدور بينك وبينهم ..

ألست أنت من يصفونك بالنبل ! فما سمعت أحدهم دائما ، إلا ويقول لك ـ بعد تعامله معك :

" يا (نبيل) .. أنت فتى (نبيل) .. "

فماذا هناك إذن ؟!

ـ لا شىء يا والدى .. أرجوك .. لقد حققت لك مطلبك.. وحصلت على شهادتى بتقدير يشرفنى ويشـرفك .. فـدعنى على راحتى .. حتى يأذن الله (عز وجل) بأمر كان مفعولا..

ولا تقلق من ناحية المصاريف .. فلن أكلفك قرشا واحـدا بعد الآن ، وسأنفق من النقود التى تركتها لى والدتى (رحمها الله) .

ـ وحينما تنتهى تلك النقود ؟!

ـ سأضعها في أحد البنوك .. وأنفق مـن العائـد الـذى سيأتينى منها ، فأنت تعرفنى .. لا أميـل إلـى التـرف .. والقليل يكفينى .

ـ وإلى متى ستستمر هكذا ؟!

ـ لا أعرف ! حقيقة لا أعرف !

ولكن لابد أن أعرف ..

نعم لابد ..

***

دلف إلى مصعد البناية ، وطلب من العامل أن يوصله إلى الدور الثامن ..

وهناك .. في شقة فاخرة .. وأمام مكتب أنيق .. تجلـس إليه سكرتيرة حسناء ..

وضع أمامها الصحيفة ، التى كانت في يـده .. بعـد أن فتحها على صفحة معينة ..

وقال :

ـ هذا الإعلان يخصكم .. أليس كذلك ؟

نظرت إلى الصحيفة .. قبل أن ترفع رأسها إليه ، قائلة :

ـ بلى .. هو يخصنا .

ـ حسن .. اسمى (نبيل أبو المجد) ..

حاصل على بكالوريوس العلـوم ـ قسـم جيولوجيـا .. بتقدير عام جيد جدا مع مرتبة الشرف .. دفعة عـام ١٩٩٩ ميلاديا .. وهذه أوراقى .

***

- زهور -

- اسمك (زهور) ؟!

- نعم .

- اسم غريب ! سامحينى ! ولكن لمـاذا لـم يسـمونك (زهرة) أو حتى (أزهار) .. لماذا اختاروا لك اسم (زهـور) بالتحديد ؟!

ضحكت ، ولم تجبه .. فهى نفسها لم تكن تـدرى إجابـة لذلك السؤال ، الذى تكرر على مسامعها عشرات المـرات ، طوال حياتها ..

لكنها دائما كانت تشعر بلذة كلما سمعته .. فهو يعطيهـا إحساسا بأنها مميزة .. مختلفة عن كل الفتيات التى عرفتهن!

وعلى مدار السنين كانت تحاول إثبات ذلك ..

بأن تكون دائما مسارا لإعجـاب الجميـع ، دون تكلـف أو اصطناع ..

فلا أحد ينكر عليها أدبها ورقتها ، في معاملة كـل مـن عرفها ..

أو حتى تعامل معها معاملـة عـابرة .. لـم تسـتغرق سوى بضع لحظات ..

هى (زهور عبد المولى) .. خريجة كلية العلوم ـ قسـم جيولوجيا ، لعام ٢٠٠٢ ميلاديا .. والأولى علـى دفعتهـا ، بتقدير امتياز مع مرتبة الشرف ..

واليوم .. كانت تتسلم عملها الجديد ، بأحد معامل شركات البترول الكبرى ..

وحدث أن قابلت (نبيل) ..

***

" من ذلك الشخص الذى يجمعنى وإيـاه مكـان واحـد ، لأكثر من سبع ساعات يوميا ؟! "

كان هذا السؤال هو ما يشغل بالهـا دائمـا .. ويجعلهـا تفكر فيه .. حتى بعد أن تعود من العمـل .. وتسـتقر فـي غرفتها ، بمنزل والدها الراحل ..

فهى يتيمة الأب ، منذ أن كان عمرها خمسة عشر عاما..

وهى وحيدة أمها ، التى تسعى دائمـا وأبـدا لتسـعدها ، وتؤمن لها سبل المعيشة الكريمـة ، رغـم قلـة المعـاش الذى تركه لهما ذلك الأب ..

لهذا فقد بذلت قصارى جهدها ، لكـى تسـعد هـذه الأم الحنون كما أسعدتها ، وتحملـت عنهـا الكثيـر مـن الآلام والمحن..

لكنها اليوم بحاجـة إلـى صـديقة عزيـزة ، تشـاركها أسرارها..

وتحكى لها عـن ذلـك الفتـى ، الـذى ملـك عليهـا خواطرها وأفكارها ..

وليس لها صديقة سوى تلك الأم الرءوم ..

فهل تحدثها عنه ؟!

لا تدرى ماذا تفعل ؟!

أنها أول مرة تمر بمثل هذه التجربة !

فطوال عمرها قد تعودت أن تلقى بمثل هذه الأمور خلف ظهرها ، ولا تلفت إلا لدروسها وشهادتها ، التى كانت تبغى الحصول عليها بأعلى الدرجات ..

وكلما كانت تحدثها أمها في أمور الزواج وخلافه .. كانت تقول لها مازحة :

ـ يا أمى ! دعك من هذه الأمور الآن .. أنا لا تشـغلنى سوى دراستى وعلومى .. أما بشأن الزواج والزوجـات .. فسأبحث لك عن عريس إذا كنت تريدين .

فتضحك الأم الحنون ، وتقول لها ، وهى تقرصـها فـي أذنها :

ـ يا لك من عفريتة ! كلما حاولت التحدث معك بجـد ، تحولين الموضوع إلى مزاح وهذر !

فلا يكون منها إلا أن تضـحك ، وتلقـى بنفسـها بـين ذراعيها، ليدفئها حضنها ، الذى يسعها بأكثر مما تسعها هذه الدنيا الضيقة ، التى تعيش فيها ..

هى تعلم أنها ـ وفى ظل هـذه الظـروف الاقتصـادية الطاحنة ـ لن تجد من يتقدم لخطبتها ..

وهى الفتاة اليتيمة ، التى لم يترك لها والدها شـيئا مـن متاع الدنيا ، سوى تلك الشقة الصغيرة التى تسـعها وأمهـا بالكاد ، ولا تتحمل أى ضيف آخر ينضم لهما فيها ..

ثم أنها ذات قدر يسير من الجمال ..

وشبان هذه الأيام لا يجدون القوت ، ومع ذلك فكل مـنهم يحلم بـ (فينوس) ، التى سوف تنسـيه الجـوع ، وتجعلـه

يزدرد طبق الفول ، حالما أنه يأكل معهـا ثمـار الجنـة ، ويحلـّى بشهدها !

لكن المشكلة مازالت قائمة .. وهى لا تدرى ماذا تفعل ؟!

هل تخبر أمها بـ (نبيل) ؟!

***

إنه لم يحادثها في شيء .. ولا حتى مجرد تلميح ..

وأقصى ما سمعته منه .. أنهما ، وأثناء فترة الراحـة .. قال لها ذات مرة :

ـ أنت فتاة مختلفة يا (زهور) .. أجل .. إن هذا أهـم ما يمـيزك في نظرى .. أنك فتاة مختلفة !

ضحكت في خجل ، وقالت :

ـ هل أعتبر هذا غزلا بين الزملاء ؟!

وكانت المرة الأولى التى تراه يبتسم فيها ، وهو يجيبها :

ـ إذا كان الاختلاف يعد مدحا .. فلك أن تعتبرى ما قلته الآن غزلا .. وغزلا صريحا أيضا !

ولن يدر أبدا ، كم أسعدتها عبارته تلك .. برغم ما تحويه من غموض ..

لكنها كانت تدرك أن بحياته لغزا ، يحاول فك طلاسمه ..

أو أنه هو نفسه لغز ، يعجز كل من عرفـه عـن فهمـه وتفسيره !

لكن ليست هى .. أجل .. ليست هى ..

فلقد تعودت دائما ألا تترك لغزا يستعصـى عليهـا .. إلا وفسرته ..

وسوف تفسر ذاك اللغز .. ففـى تفسـيرها لـه تكمـن سعادتها..

أو هذا ما تظنه !

***

ـ علاء ـ

حينما ظهرت (هيام) لأول مرة في حياته .. كان يعتبرها مخلوقة رائعة بكل المقاييس ..

لكن الأمر قد تغير بعد تجربة عـامين مـن الـزواج ، والمعاشرة الشرعية بينهما ..

فلم يعد يراها تلك الفتاة ، التى رسم لها أجمل صورة في خياله ، منذ أن كانا زميلين ، تجمعهما جدران كلية واحدة ..

هى كلية الآداب ـ قسم اللغة الفرنسية ..

كان أثناء الدراسة يعلم أنها على علاقـة بطالـب ، مـن طلاب كلية العلوم ..

اسمه (نبيل) ..

وأن هذا الطالب قد تركها ، وقطع علاقته معها ، لأسباب غامضة ، لا يعلمها أحد من الدفعة كلها !

وبرغم أن هذا كان يسبب له بعض الضيق وهـو يتقـدم لخطبتها ..

إلا أنه كرجل عاقل ، أدرك أن هذا لا يشينها في شىء ، فكثيرا ما تحدث هذه الأمور ، في مجتمع كمجتمع الجامعة ، يضم فتيان وفتيات في عمر الزهور .. كلهـم يبحـث عـن السعادة لدى زميل له أو زميلة .. وبعضهم ينجح .. والغالبية تفشل ..

ثم تستمر الحياة بلا مشاكل ..

مادام الأمر لم يتجاوز بناء القصور في الخيال .. وإمساك الهواء بالأيدى !

أما لماذا تركها (نبيل) ، ولم يتزوجها ؟

فهناك العديد من المسببات التى قد تؤدى لـذلك ، دون أن يمس إحداها شرف (هيام) وكرامتها ..

وأبسط هذه المسببات ، أن تكون ظروفه المادية لا تسمح له بالزواج ، في المدى القصير ..

فتلك مشكلة معظم الشباب ، في ذلك العصر المفزع الذى نحياه !

وهو نفسه ـ (علاء) ـ ما كان يستطيع التقدم لخطبتها ، وإتمام الزواج بعد شهرين فحسب .. لو لم يكن مـن عائلـة ثرية ، ذللت لـه كل الصعاب ، التى كانت ستعترض طريق أى شاب ، في مثل سنه تلك ..

لكنه ما عاد يحتمل جفاءها غير المعلن له !

هى تكره ..

وهو يعلم ذلك ..

برغم كل ما تحاول إظهاره له ، مـن علامـات الحـب والمودة !

فكل شىء يمكن الخداع فيه .. إلا الحب !

فأنت تعلم أن إنسانا يحبك ..

هذا شىء لا يدركه عقلك ..

وإنما يحسه قلبك .. وتنبض به مشاعرك ..
وهو لم يحس يوما أن (هيام) قد أحبته ..
فهى لا تزال تحب ذلك الفتى الذى هجرها ..
وحطم قلبها على ما يبدو ..
فأصبح غير قادر على استقبال وافد جديد ..
حتى وإن تدله في حب صاحبته ..
فهو قلب عاجز عن الحب ..
إلا عند شخص واحد فقط ..
(نبيل) !

مكاشفة

ـ (هيام) .
ـ نعم يا (علاء) .
ـ أمازلت تحبين ذلك الفتى ؟
باغتها السؤال ، فلم تستطع الرد .. وسقط كوب الماء من يدها ، قبل أن تشرب !
بعد برهة قالت :
ـ أى فتى تقصد ؟!
ـ (نبيل) !

ـ (علاء) ! ـ قالتها في دهشة شديدة ـ هل تشك في ؟!

ـ ليس للشك دخلا فيما أقول .. أنا أعلم أنك أطهر امرأة عرفت .

ـ إذن فقد عرفت الكثيرات غيرى !

ـ ليكن ! أجيبينى فحسب .. هل تحبينه ؟

رفعت رأسها في شمم ، وهى تقول :

ـ لقد علمنى أهلى ألا أحب سوى الرجل الذى سيربطنى وإياه رباط الزواج !

قال ، في سخرية مريرة :

ـ ليس الحب بالتعلم !

سألته غاضبة :

ـ ماذا تعنى ؟!

أجاب ، في غضب مماثل :

ـ لا أعنى شيئا .. هل تحبينه أم لا ؟

قالت متحدية :

ـ لن أجيبك !

وأسرعت تنصرف ، قبل أن تخونها دموعها ..

ويرى الإجابة واضحة في عينيها ..

كان يعلم أنه قد جرحها ، بمثل هذه المكاشفة الصريحة ..

ولكنها هى .. لا تفتأ تجرحه منذ أن ارتبط بها وتزوجهـا .. بحبها لذلك الفتى الذى يجهله !

وبعد تفكير طويل .. أدرك أنه مخطئ في حقها .. وأنهـا لم تقصر في واجباتها كزوجة ..

ولم تأل جهدا لإسعاده والعمل على راحته ..

أما ما في قلبها .. فهذا شىء لا يمكن محاسبتها عليـه .. طالما كان يعلم ذلك منذ البداية ..

ويعلم أن من يحب .. لا يكره من أحبه ..

لهذا فهو لن يكرها أبدا ..

ونهض ليصالحها .. ويطلب منها أن تسامحه .. وتنسـى كل ما قاله لها .. منذ أن كانا على مائدة العشاء ..

ولإحساسها بالذنب .. سامحته ..

ونست كل ما تلفظت به شفتاه ..

من كلام جارح ..

كان يعلم أنها مخلوقة رائعة !

***

ـ هيام ـ

منذ اللحظة الأولى التـى وقعـت فيهـا عيناهـا علـى (نبيل) .. وهى تحبه !

كانت قبل ذلك لا تعترف بالحب ، إلا كنوع من التسـلية الرخيصة ، التى يتقرب بها الفتيان إلى الفتيـات ، لتمضـية الوقت والعبث بمشاعرهن !

هى جميلة .. غاية في الجمال ..

وقد جعلها جمالها هذا ، تعتبر أية محاولة للتقرب منهـا ، من قبل أحد زملائها في الجامعة ، ضرب مـن المعاكسـة والمضايقة ..

إلى أن التقت بـ (نبيل) .. فتغيرت نظرتها للحب !

أتت معرفتها به عن طريق إحدى زميلاتها بالدفعة ، وهذه الزميلة كانت تسكن بجواره ، وتحدثه من آن لآخر باعتبارها جارته ، وزميلته في نفس الجامعة .. وإن لم يكونا ينتميـان لكلية واحدة ..

فـ (نبيل) كان في كلية العلوم ـ قسم جيولوجيا ، بينمـا (هيام) وزميلتها ـ التى عرفتها به ـ كانتا طالبتين بالفرقـة النهائية ، بكلية الآداب ـ قسم اللغة الفرنسية ..

علمت حين شاهدته ، أنه يختلف عن بقية شباب الجامعـة .. فهو ذو أخلاق رفيعة ، لم تصادف مثلها أبدا ..

عف البصر .. عف اللسان .. متـزن العقـل .. شـديد الإيمان .. قوى الحجة .. ساطع البيان .. كمـا أنـه وسـيم الطلعة .. أنيق الملبس .. رشيق القوام ..

أى فتاة تصادف مثل ذلك الفتى ولا تحبه ؟!

وهذا ما حدث معها ..

لقد وجدت نفسها مدلهة في حبه حتى النخاع ..

وهى التى ظنت في يوم من الأيام .. أنها لا تمتلك قلبـا تحب به ..

أو أنها عاجزة عن الحب ، لأنه شىء غير موجود !

فخلال شهور قليلة .. كانا يحلقان معا فـي سـماء مـن الخيال .. فأخبرته أنها تحبه ، قبل أن يفعل هو ، ويخبرهـا بذلك ..

لكنه قال لها في وضوح :

" (هيام) .. أنت تملكين كل موصفات فتاة الأحلام ، التى تخيلتها لنفسى .. ولن أجد مثلك ، ولو بحثت العمر كله .. "

وكانت هذه أروع كلمات سمعتها منه .. فلـو كـان قـد أخبرها أنه أيضا يحبها .. لما اقتنعت .. وما صدقته ..

فلقد تعودت دائما أن تسمع منه ما يبرر مشاعره ، تجـاه كل ما حوله .. دون أن يخبرها صراحة عن فحـوى هـذه المشاعر .. ويتركها تفهم ما تموج بـه عواطفـه ، دون أى تصريح من لدنه ..

ولقد فهمت أنه يحبها ..

بل هو مرتشف من هذا الحب حتى الثمالة ..

ومع ذلك ، فقد تركها ومضى دون أن تفهم ..

لماذا فعل ما فعل ؟!!

لأنه مختلف !

كانت هذه إجابته لها !

ولا شىء آخر !

لم تدر وقتها .. أهى تهذى ؟!

أم أنه كابوس مرعب ، لم تستيقظ منه حتى الآن ؟!

واستسلمت ..

ماذا كان بيدها لتفعله ، غير هذا الاستسلام المشين ؟!
لكنها أبدا لم تكره !
حاولت هذا .. حاولت بكل طاقتها .. لكنها لم تستطع ..
فالكراهية كالحب ..لا تأتى حينما نريدها نحن ..
ولكن حينما تريد هى أن تأتى ..
لهذا لم تقدر يوما أن تحب (علاء) ..
وإن كانت تفضل الموت ، على أن تسبب له أدنى ألم !
فهو لم يرتكب جرما حينما تزوجها ..
إنه يحبها من صميم قلبه ..
عامين من الزواج ، فترة كافية كى تتيقن من هـذا .. ولا يعد لديها أى شك فيه ..
لكنه كشف لها اليوم عن مكنون قلبه ..
وسألها صراحة :
" هل مازالت تحبين (نبيل) ؟ "
كان هذا السؤال بمثابة صاعقة بالنسبة لها ..
فلقد أدركت أن كل محاولاتها لإسعاده قد فشلت ..
وأنه يشعر بذلك الجرح الكبير الذى يـدمى قلبهـا ، ولا تستطيع معالجته أو إهماله ..

وحتى لا تزيد من آلامه ، التـى سـببتها لـه دون أن تشعر .. هربت من مواجهته ..

وأسرعت إلى غرفتهما .. لتدفن رأسها فـي الوسـادة .. وتدفن معها ذكريات عديدة راحت تهاجمها في شراسة .. مما جعل الدموع تنهال من عينيها أنهارا ..

ومع انتصاف الليل .. وجدت (علاء) يأتى إليها ، ليضمها إلى صدره .. ويطلب منها أن تسامحه ، على كل ما بدر منه في حقها ..

لم تدر ماذا تقول ..

" هل تطلب منه أن يسامحها هو ؟! "

إن هذا كفيل بجعله لا يسامحها طوال العمر !

لذا لم تطلب منه شيئا ..

واستكانت بين ذراعيه كعصفور رقيق .. فاجأه المطر في ليلة صيف ساخنة ..

وهتفت من أعماق قلبها .. دون أن يصل صـوتها إلـى شفتيها ..

" سامحنى أنت أيها الزوج الكريم .. فأنا المخطئة .. "

***

- نبيل -

أخير يا (نبيل) !

أخيرا تحقق الحلم الذى كنت تصبو إليه !

أخيرا تذوقت طعم السعادة ، دون أن تخالف طبيعتك ، أو تتمرد عليها !

كان الطريق شاقا .. ولكنك قطعته مرغما ، كـى تثبـت للجميع أنك لست عاجزا عن تحقيق هدفك .. وإنما تخشى أن تخذلك قوتك .. أو تخونك عزيمتك .. فتتخلى عنه ..

وتصبح مثل الآخرين !

إن الجميع يبحثون عن المـادة .. وينسـون أنهـم كـى يحصلوا عليها بأسرع وسيلة ممكنة .. سوف يفقدون أشـياء كثيرة تميزهم .. وتجعلهم بصـمات متباينـة .. لا تتشـابه إحداها مع الأخرى .. إلا في الشكل العام فقط ..

لكن الجوهر دائما ما يكون مختلفا ..

وذاك ما كنت تسعى جاهدا لإثباته ..

والحفاظ عليه ..

لقد حققت نجاحا في شتى مجالات حياتك ..

بعد أن كنت ضائعا في نظر من عرفوك ..
لا شك أن هذا النجاح قد احتاج جهدا كثيرا ..
ووقتا أكثر .. ليس الجميع على استعداد أن يضحوا به ..
ولكنهم لا يدركون أن عاما واحدا .. تقضيه بعد أن حققت ما كنت تصبو إليه .. هو خير من مئة عام .. تعيشها وأنت تشعر أنك غريب .. لا يجد نفسه .. فيما هو فيه !
إن السعادة تكمن في النجاح ..
لكنه لابد أن يكون نجاحا في شيء كنت تصبو إليه ..
فأن تقف ساعات ، حتى تعرف الطريق الصحيح .. خيرا من أن تسلك طريقا تجهله ، ثم لا تستطيع العـودة منـه .. وتبقى بقية عمرك ضائعا .. تائها ..
لقد تركت (هيام) ، لأن شيئا في نفسك أخبرك بأنها ليست هي من كنت تحلم بها ..
بالرغم من أنك كنت تحبها .. ويتمزق قلبك وأن تطالبهـا بالابتعاد عنك !
وكذا فعلت ، حينما وجدت نفسك مقدما على حياة العمـل .. فلم تشأ التسرع ، والالتحاق بأول وظيفة تقابلك ..
وقضيت عاما كاملا من العزلة والانطواء ..

حتى تتثنى لك أن تختار المجال ، الذى ستعمل فيه ..

لقد التحقت بكلية العلوم ، لأنك كنت في حاجة إلى علـم تبغيه .. وليس إلى وظيفة بعينها ..

ولو كنت قد رأيت نفسك في مجال أخـر غيـر مجالـك الذى تعمل فيه الآن ..

لألقيت شهادتك خاف ظهرك .. وتعلمت ما يناسب ذلـك المجال الجديد ..

ثم جاءت (زهور) إلى حياتك .. فشعرت بـالخوف فـي البداية .. من أن تكون مشاعرك قد خدعتك هذه المرة أيضا .. وأنها ليست الفتاة المناسبة لك ..

وإذا بك تجرى مقارنة بينها وبين (هيام) ..

فيتضح لك أخيرا الفرق بين الفتاتين ..

والذى من أجله كانت (زهور) ..

ولم تكن (هيام) !

إن (زهور) مختلفة مثلك .. نعم مثلك !!

فأن تماثلك فتاتك ، فهذا ليس دليلا يدحض اختلافك ..

لقد كنت تؤمن دائما أن الرجل لغزا لا تستطيع فهمه سوى امرأة واحدة ..

حتى هو نفسه لا يفهم نفسه !!

ولكنه حين يجد هذه المرأة .. فإنها تَفهمه ، وتُفهمه !

وهذا ما يجعل نسبة السعادة بين الناس ، غير مكتملة في معظم الأحيان !

فأى رجل يستطيع أن يتزوج أى امرأة ، ما دامت تحـل له..

ولكن هناك دائما واحدة - وواحدة فقـط - هـى مـن تستطيع إسعاده .. وهو من يستطيع إسعادها !

فالرجل أشبه بصورة (بازل) ، تنقصه قطعة واحدة كـى يكتمل ..

وقطعته هو كانت (زهور) ..

وقد وجدها .. ووجد نفسه معها ..

فلم يكد يتزوجها .. حتى انطلقت كل قدراتـه الكامنـة ، وتحررت من عقالها ..

فحصل على الدكتوراه في مجال تخصصه ..

وألف أولى دواوين شعره .. بعد أن كان عـاجزا عـن كتابة قصيدة كاملة ..

فما كاد يجد ملهمته .. حتى تفجرت ينابيع الفن داخلـه .. وحقق ديوانه الأول (زهور) أعلى نسبة مبيعات .. عرفهـا شاعر قبله ..

برغم أن الناس لم تعد تتذوق الشعر كثيرا هذه الأيام بعـد أن طحنتهم المادة وطغت على عقولهم ، لكن قلوبهم كانـت بحاجة دائمة إلى من يرويها ، بعد أن تشققت من طول ظمئ إلى السعادة !

وكانت سعادته تكفيه ، وتفيض لتغمرهم ..

وهاهو يجلس في شرفة منزله ، يطالع النجـوم ، وهـى تتلألأ في سماء سعادته .. وزوجته بجانبه .. تنظـر إليـه ، وترتشف من تلك السعادة ، التى غمرته بها .. حتى يغمـر جميع من حوله .. وأولهم هى ..

غمغم يحدثها ، وهو مازال سابحا بين أجرام الكون :

ـ هل تعلمين يا حبيبتى ؟!

يخيل إلى أحيانا أننى لا أنتمى إلى ذلك الواقـع ، الـذى نعيش فيه ..

فطالما شعرت بأننى غريب عنه ..

كائن قادم من الفضاء .. سقطت مركبته هاهنا .. وظـن أنه من أهل ذلك العصر العجيب .. الملئ بالتفاصيل !

أو .. أو ربما فارس من العصـور الوسـطى .. ضـل طريقه بين الأزمنة ليجد نفسه في ذلك الزمن .. يتحدث بلغته .. ويعامل بعملاته !

لكنه حين ينفرد بنفسه ، يجد في جيبـه عملـة أخـرى ، تخبره أنه غريب .. ولكنها لا تخبره من أين أتى !

ثم نظر لها نظرة عجيبة .. وهمس يسألها :

ـ هل تعلمين أنت .. من أين أتى ؟!

***

ـ مفاجأة ـ

" من قتل (نبيل) ؟!! .. "

كان هذا هو السؤال الذى تردد على ألسنة الناس جميعا ، في اليوم التالى مباشرة لظهور شـاعرهم المحبـوب علـى شاشات التليفزيون ، في برنامـج أعـد لـه خصيصـا ..

لمناقشة ديوانه الأول (زهور) وسر نجاحه المـذهل ، فـي إعادة الشعر إلى مكانته الأولى ، في قلوب الناس ..

ثم طالعتهم صحف الصباح بخبر مصـرعه ، علـى يـد شخص مجهول ، لم يتم معرفة هويته حتى الآن ولا الـدافع وراء ارتكابه مثل هذه الجريمة البشعة !

فبعد معرفتهم بـ (نبيل) من خلال ديوانه والمقابلة التـى أجريت معه ، وشاهدها الجميع .. أصبح مقتل هـذا (الفتـى النبيل) يعد جريمة بشعة .. تفوق في بشاعتها جميع الجرائم الأخرى ، التى ترتكب يوميا !

ومازال السؤال يتردد على ألسنة الناس ..

" من قتل (نبيل) ؟!! .. "

***

" أنا .. ! "

رفع (وكيل النيابة) نظره إلى ذلك الشـخص العجيـب ، الذى يقف أمامه .. واصطدمت عيناه بمنظـره المـزرى ، وهيئته الرثة ، وثيابه البالية الممزقة .. ثم سأله في خشونة :

ـ من أنت ؟!

ـ أنا (وحيد) .. (وحيد الوحيد) .

عاد الرجل ينظر إليه بعدم فهم .. ثم تألقت عينـاه كمـن اكتشف سرا .. أو حل لغزا .. وعاد يسأله :

ـ وماذا تريد يا أستاذ (وحيد الوحيد) ؟!

ـ أريد أن أعترف .

ـ وبماذا تعترف ؟!

ـ بأننى قتلت (نبيل) !

ـ ومن (نبيل) ؟!

ـ (نبيل أبو المجد) .. كيف لا تعرفه ؟! .. لقـد أصـبح أشهر رجل في (مصر) كلها .. بعد أن حقق ديوان شعره ما لم يحققه ديوان آخر ، كتبه شاعر من قبل !!

ـ أهو شاعر ؟!

ـ كان ! لقد قتلته بالأمس !

ـ ولماذا فعلت ؟!

ـ لأنه حقق ما لم أحققه أنا .. وحصل على سعادته كاملة .. لم ينقصها شيء !

أصبح ناجحا في عمله .. ناجحا في زواجه ..

ناجحا حتى في موهبته !

لقد سرق منى كل شيء .. ولم يترك لى شيئا أحققه !

ـ ولكنى لم أسمع به من قبل !!

ـ كيف ؟! .. ألست أنت من تحقق في قضيته ؟!

أرجوك أصدر أمرك بالإفراج عـن كـل مـن (هيـام) و(علاء) .. فليس لأى منهما صلة بمصرعه .. أنا من قتله !

ـ قلت لك لا يوجد هنـاك (نبيـل) ، ولا (هيـام) ، ولا (علاء) .. من أين تأتى بهذه الأسماء ؟!

صمت الفتى مذهولا .. قبل أن يهمس بصوت مبحوح :

ـ ولكن .. ولكن هناك (زهور) بالتأكيد .. أليس كذلك ؟!

أطلق (وكيل النيابة) زفرة حارة ، وقد نفذ صبره .. ثـم قال له :

ـ نعم ! بالتأكيد توجد (زهور) ! وسوف أرسـلك لهـا فورا!

ثم أمسك قلمه ، وكتب :

" يحول إلى مستشفى الأمراض العصبية والنفسية .. " !!

وكيل النائب العام

(نبيل أبو المجد)

***